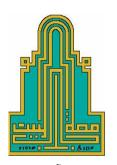
## بسم (لله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربيّة وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان

''الأحاديث الأربعون النووية: دراسة في بلاغة الحِجَاج''

"Al'ahadith Alarbaeun Alnawaiat: A Study in the eloquence of the Arguments"

> إعداد الطالب: محمد قاسم محمد الدهيّم الرقم الجامعي: (١٦٢٠٣٠١٠٠٤)

> > إشراف الدكتور: إبراهيم أبو علوش

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية عمادة الدراسات العليا جامعة آل البيت - المفرق - الأردن الفصل الأول العام الدراسي ٢٠١٨/٢٠١٨

## التفويسض

أنا الطالب محمد قاسم محمد الدهيّم أفوض جامعة آل البيت بتزويد نُسـخ مـن رسالتي، للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: / /

### إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

الرقم الجامعي: ١٦٢٠٣٠١٠٠٤

أنا الطالب: محمد قاسم محمد الدهيّم

الكليــــة: الآداب والعلوم الإنسانية

التخصص: اللغة العربية وآدابها

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المعمول بها المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسائتي بعنوان:

#### "الأحاديث الأربعون النووية: دراسة في بلاغة الحِجَاج"

# "Al'ahadith Alarbaeun Alnawaiat: A Study in the eloquence of the Arguments"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدّرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: التاريخ: / /

### عمادة الدراسات العليا جامعة آل البيت

# قرار لجنة المناقشة نوقشت هذه الرسالة وعنوانها:

## "الأحاديث الأربعون النووية: دراسة في بلاغة الحِجَاج" وأجيزت بتاريخ: ٢٦/كانون الأول/٢٠٨م

إعـداد الطالب: محمد قاسم محمد الدهيّم ١٦٢٠٣٠١٠٠٤

## إشراف: الدكتور إبراهيم أبو علوش

التوقيع		أعضاء لجنة الناقشة	
	مشرفاً ورئيساً	١٠ الدكتور: إبراهيم محمد أبو علوش	
	عضواً داخلياً	٠٢ الدكتورة: مها عبد القادر مبيضين	
	عضواً داخلياً	٠٣ الدكتور: حسين أحمد كتانــــة	
	عضواً خارجياً	٤. الدكتور: محمد علي ابنيــــان	

قَالَ الله تعالى ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۗ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ تَعْمَلُونَ ﴾

سورة التوبة الآية (١٠٠١)

قال الله تعالى ﴿ومَا تَوْفِيقِي إِنَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾

سورة هود الآية (٨٨)

## الإهداء

أهدي هذا العبل إلى أرواع أجدادي الأطهار، وإلى والديّ أطال الله في عبرها، وإلى أساتذتي الكرام، وإلى زوجتي، وأبنائي قاسم، وهبة، ويقين، وإلى كل من وقف معي في إتمام هذا العبل، وإلى كل من علمني حرفا.

الباحث

محمد قاسم الدهيم

## شكر وعرفان

الحمد لله الذي وفق عبده وأعانه وأيده؛ ليصل إلى هذه اللحظة، شكراً لكل الأساتذة الفضلاء الذين جلست أمامهم طالبا في جامعة آل البيت أرفع من هذا المقام خالص عبارات الشكر لمن تولى رعاية هذا العمل، وأشرف عليه وتابعه وأرشد صاحبه الدكتور إبراهيم أبوعلوش، وأخيرا شكراً لكل الذين قرأت لهم الأموات منهم قبل الأحياء، والحمد لله وكفى وخير الصلاة على النبى المصطفى.

الباحث

محمد قاسم الدهيّم

## فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع	
Í	العنوان	
ب	تفويض	
٤	إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها	
٦	قرار لجنة المناقشة	
و	الإهداء	
ز	شكر وتقدير	
۲	فهرس المحتويات	
শ্র	ملخص الدراسة باللغة العربية	
م	ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	
۲	المقدمة.	
٨	الفصل التمهيدي.	
٨	المطلب الأول: نبذة عن حياة المصنف الإمام النووي - رحمه الله	
١.	المطلب الثاني: كتاب الأحاديث الأربعين النووية: ماهيته وأهميته.	
١٢	المطلب الثالث: الحجاج (البلاغة الجديدة): مفهومه، وأهميته.	
الفصل الأول: ظاهرة الحجاج بين القدماء والمحدثين		
10	المبحث الأول: الحجاج عند اليونان.	
١٨	المبحث الثاني: الحجاج في تراثنا البلاغي والنقدي.	
*^	المبحث الثالث: الحجاج في الفكر النقدي الغربي الحديث وأثره في الدراسات العربية المعاصرة.	

الفصل الثاني: وسائل الحجاج البلاغية والمنطقية في الأحاديث الأربعين النووية		
٥١	ر في السنة النبوية الشريفة. أ في السنة النبوية الشريفة.	الحجاج
٥٢	، الأول: أساليب الحجاج البلاغية وأثرها في الإقناع.	المبحث
٥٢	الاستفهام.	١.
٥٧	التوكيد.	۲.
٦١	الطباق.	۳.
٦٢	التكرار.	. ٤
٧٠	، الثاني: الصورة البلاغية والإقناع.	المبحث
٧٠	التشبيه والتمثيل.	١.
٧٣	الاستعارة.	۲.
٧٩	الكناية.	۳.
٨٤	، الثالث: الوسائل المنطقية.	المبحث
٨٤	الحجج شبه المنطقية.	٠١.
٨٤	الحجج القائمة على بنية الواقع.	۲.
٨٥	الحجج المؤسسة لبنية الواقع.	۳.
۹.	تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة.	٤.
الفصل الثالث: آليات الحجاج في الأحاديث الأربعين النووية وأثرها في الإقناع		
90	، الأول: روابط الحجاج.	المبحث
٩ ٦	المواو	١.
٩٧	حتى	۲.
9 9	الفاء	٠٣

١	٤. ثم
١٠٣	المبحث الثاني: عوامل الحجاج وموجهاته.
1.8	١. (العامل الحجاجي): (ما إلا ولا إلا).
١٠٨	۲. إنما.
111	٣. القسم.
117	خاتمة.
111	قائمة المصادر والمراجع.

#### ملخص الرسالة

#### "الأحاديث الأربعون النووية: دراسة في بلاغة الحِجَاج"

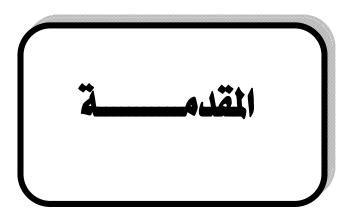
يعد الحجاج دائما عنصرا مهما في عملية الإقناع، وفي إدراك الحق وقبوله، ولذلك نراه جليا في التعبير النبوي الشريف، فالحجاج في الفكر اليوناني عند أرسطو يرتبط بالإقناع والبرهان، من خلال الخطابة التي تعد فضاءً نصيا يتجلى فيه الحجاج، ومن ثم ارتبط في التراث العربي بالجدل وظهر مرادفًا له، فقد اهتمت البلاغة العربية بالتأثير والإقناع، كفكرة البيان عند الجاحظ، والمجاز عند عبد القاهر الجرجاني وغيرهما، لذلك وجّه علماء البلاغة العربية القديمة البلاغة لغاية تأثيرية إقناعية لإقناع الجمهور والتأثير فيه من خلال الخطابة ، لذلك نجد البلاغة عندهم تهدف إلى أمرين: الوضوح (الارتجال) والتأثير (النفع)، ووقفت الدراسة على الدراسات التي ساهمت فيوضع نظرية حديثة للحجاج عند الغرب أولها: البلاغة أو الخطابة الجديدة لـ (بيرلمان وتيتيكا) إذ حاولا إضفاء بعد عقلي على الحجاج، فهو عندهما حوار يسعى إلى إحداث اتفاق بين الأطراف المتحاور محرية ومعقولية بعيدا عن الاعتباطية، واللامعقولية في الخطابة، والإلزام الذي يطبع الجدل، ومن ثم نظرية الحجاج في اللغة لـ (ديكرو)، فالحجاج عنده قائم في جوهر اللغة نفسها بصرف النظر عن استخدامها، فكل قول هو قول حجاجي، لقد أدى انفتاح الباحثين العرب المعاصرين على النظريات الغربية، أمثال طه عبد الرحمن، ومحمد العمري، وأبوبكر العزاوي، إلى إثراء الدرس الحجاجي المعاصر، ومن ثم تطرقنا إلى وسائل الحجاج البلاغية والمنطقية في الأحاديث الأربعين النووية وأثرها في الإقناع من خلال أساليب الحجاج البلاغية: (الاستفهام، والتوكيد، والطباق، والتكرار) والصور البلاغية: (التشبيه، والاستعارة، والكناية) فلذلك تتعدد أشكال الحجاج حسب طبيعة الحوار الحجاجي وبناء الحجاج، فالنبي - صلى الله عليه وسلم- يلتزم الأسلوب المنطقي والأدلة المكشوفة والمقدمات الموصلة إلى النتائج المرجوة؛ حتى يكون لكلامه شيء من الاستجابة ولدعوته آثار في القلوب، وهذا هدف الحجاج عنده- صلى الله عليه وسلم- الوصول إلى الإقناع والتأثير، فهو يربط كلامه ويجعله متماسكا من خلال الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية التي تساهم في تحقيق النتيجة المرجوة، وانسجام خطاباته، وتوجيهها وجهة قوية للوصول إلى استمالة المخاطب والتأثير فيه، فالخطاب النبوي الشريف في مفهومه متميز طبعاً عن سائر الخطابات البشرية، فهو يتوجه إلى أصناف متعددة متباينة من المخاطبين في عصور مختلفة يستهدف إرشادهم جميعاً مراعياً تدرج معانيه حسب الأفهام والعقول، فهو منهاج دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فأسلوبه يمتاز بالمحاورة الهادئة، والإقناع بالحجة والدليل والبرهان وهذا هو جوهر الحجاج، وهو بذلك يعودنا على المحاورة الجادة وأساليب الإقناع التي يجب أن يلتزمها الداعية، فجميع الرسل لا يأمرون أو ينهون بأسلوب عنيف أو بتعبير غير مقنع، بل يحترمون العقول؛ بإظهار الحجة والبينة على قولهم.

#### Abstract

# "Al'ahadith Alarbaeun Alnawaiat: A Study in the eloquence of the Arguments"

The arguments always important on the elements in operation of the persuasion, and apprehension of the truth, and acceptance it, and so we can see it in the prophetic expression honorable, so the arguments is connected specification in the Greek thought of Aristotle, so it relates in the persuasion and the proof, thought the oratory which is space of textual becomes clear in the arguments, and then it related in the Arabic heritage by the braids and back of synonymous for it. The Arabic eloquence interested in the impact and the persuasion, as the idea of alpine for AL- Jahiz and metaphor for AL- Jarjany ect.... The Arabic eloquence scientists used eloquence to persuasive effective and persuasion of the audience and impact in them, therefore we found eloquence for them which is aim for things: the clarity (the improvisation) and the effects (the benefiting), and then we look at the studies which status of theory contributed in the modern for the argument with west firstly, the eloquence or the new oratory to (Byrlman and Tytyka) they tried projection of in tellectual distance on the argument, they had stubborn their dialogue seeks to causing agreement the evident edges conversing of freedom and rationality far about the arbitrariness and irrationality in the oratory and the imposing who the argument normalizes, and then theoretical arguments in the language for (Dykrw), the arguments for him upright in essence the language itself in dismissal of the sight about it uses, so all utterance. It is utterance of the arguments lead to openness of the Arab researchers contemporary on the western theories, for example (Taha abd Al-dRahman, and Mohammed Al-Omri, and Abo Bakr Al- Ezawy), to enrichment of the arguments contemporary lesson, and then mention the arguments of rhetorical methods and logical in the Al'ahadith Alarbeyn Alnawawih and Its effects in the persuasion through the arguments rhetorical methods(questionrhetorical, the confirmation, antithesis and repetition) and the rhetorical device (simile, metaphor and metaphysics), so there are many forms of the arguments according to the quality of the arguments dialogue and making the arguments, so the prophet- peace be upon him- committed the logical method, and exposed evidence and introductions observes the continuation to desired results, until his talk is for the response wanted from and for his invitation effects in the hearts, and this is the aim of the arguments, so lead to access to persuasion and impacts, it links its words and make it coherent from the

arguments links, and thearguments factors contributes investigation the result, andagreement its speeches, and orientation strong direction for the arrival to attracting the addressing, and the impact in them, so the prophetic speech honorable in understand able his distinguished of course about all of the human speeches, so it heads to numerous categories different from listeners in different. Eras their guidance targets all his pastures gradual advance of helping all understanding and brains, so it is the in vitiation methods becomes clear in it the wisdom and good sermon, so its way excels with calm dialogist, and its style wasked, and this is the arguments essence, and thereby accustoms us on the serion dialogist and ways of the persuasion which is necessary to observes the inviter, so all messengers doesn't order or prevent intense way or expression other the masked, but respect the brains in their exposure of the excuse and the evident on their speech adequate cutting evidences, raved that what the prophet – peace be upon him says revelation inspires, adequate raved image form masts embodies the masked arguments who oppears in it persuasive energy effective.



#### المقدمة.

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، وعلى عفوه ومغفرته وستره المرخى، وكم له علينا من بر وتكريم، وكم أسدى إلينا من خير عميم والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

يعد تحليل الخطاب الحجاجي النبوي الشريف مدخلاً لمقاربة الأحاديث الأربعين النووية ذات الصبغة الإقناعية، وفك مغاليقها، ولقد اعتمد الرسول – صلى الله عليه وسلم – في إرسال خطابه على عملية التافظ، مراعيا في ذلك الخصائص الداخلية، والخارجية المتحكمة في عملية الإرسال، ونحاول من خلال هذه الدراسة تطبيق آليات وإجراءات ما أطلق عليه (البلاغة الجديدة) على الأحاديث الأربعين النووية في محاولة للتأكيد على الخصوصية الخطابية للأحاديث النبوية الشريفة، كما سأحاول من خلال هذه الدراسة إبراز جوانب الحجاج البلاغي من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة وهي:

- كيف تجلى الحجاج في هذه الأحاديث؟
- هل ثمة معايير لغوية بلاغية منطقية اعتمدها الإمام النووي -رحمه الله- في اختبار اته؟
  - ما أسلوب بناء لغة الأحاديث الأربعين النووية؟
  - ما وظيفة تقاناته الأسلوبية؟ وما أثر آلياته الحجاجية في إقناع المتلقى؟

التواصل الفعال هو الذي يعبر عن الغرض ويبلغ المقصود بسهولة ويسر، أي إصابة المعنى من أقرب مرمى بلغة علماء العرب القدامى، ويهدف الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى إيجاد المرونة اللازمة مع المواقف المختلفة، مما يتطلب شحن خطابه بالقيم والتفسيرات المطلوبة؛ لنشر تعاليم الدين الإسلامى، وتوجيه المسلم توجيها عقديا وتربويا وأخلاقيا.

ولقد استخدام النبي - صلى الله عليه وسلم- في كلامه في تبليغ رسالته، أساليب بلاغية كثيرة لمقاصد تعليمية وإرشادية وغيرها، بهدف تقريب المعاني وإيضاحها، ولا يكون فهمنا لكتاب الله،

وحديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إلا بفهم مسالك البلاغة العربية؛ لأن القرآن والحديث النبوي الشريف يمثلان القمة في الأساليب العربية، وبعد الاطلاع على أحاديث الأربعين النووية، وما تحويه من تواصل وترابط، وقع الاختيار على دراسة الأحاديث الأربعين النووية في ضوء العنوان الآتي:

#### "الأحاديث الأربعون النووية: دراسة في بلاغة الحجاج"

وستسعى الدراسة لقراءة لغة الحديث في ضوء ما استجد من مفاهيم بلاغية لها إرهاصاتها عند القدماء، وهذه الطريقة في القراءة لها أهميتها في تحليل الخطاب النبوي. وستشتمل الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، أما التمهيد وفيه ثلاثة مطالب، في المطلب الأول: نبذة عن حياة المصنف، وفي المطلب الثاني: كتاب الأحاديث الأربعون النووية: ماهيته، وموضوعاته، وأهميته. وفي المطلب الثالث: الحجاج (البلاغة الجديدة): مفهومه، وأهميته.

وسأنتاول في الفصل الأول: ظاهرة الحجاج بين القدماء والمحدثين، وفيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول: الحجاج عند اليونان، والمبحث الثاني: الحجاج في تراثتا البلاغي والنقدي، والمبحث الثالث: الحجاج في الفكر النقدي الغربي الحديث وأثره في الدراسات العربية المعاصرة، وفي الفصل الثاني: وسائل الحجاج البلاغية والمنطقية في الأحاديث الأربعين النووية وأثرها في الإقناع، وفيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول: أساليب الحجاج البلاغية وأثرها في الإقناع، والمبحث الثاني: الصورة البلاغية والإقناع، والمبحث الثانث: الوسائل المنطقية، وفي الفصل الثالث: آليات الحجاج في الأحاديث الأربعين النووية وأثرها في الإقناع. وفيه مبحثان، المبحث الأول: روابط الحجاج، والمبحث الثاني: عوامل الحجاج وموجهاته، ومن ثمّ الخاتمة.

#### وتكمن أهمية الدراسة فيما يأتى:

دراسة بلاغة الحجاج في الخطاب النبوي الشريف في الأحاديث الأربعين النووية من
 منظور البلاغة الجديدة.

- ٢. النظر في الخصائص الأسلوبية للخطاب النبوي الشريف وإدراك بلاغة الإقناع في نظمهما.
- ٣. تعرف خصائص الاستعمال النبوي الشريف لوسائل الحجاج، وإبراز جمالياته البلاغية.
- قرف البحث في الحديث النبوي الشريف، وما أعده الله تعالى من ثواب عظيم لمن خدم كتابه وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم وسعى في تعلمهما وتعليمهما.
- النفع الذي يعود علينا من دراسة بلاغة أساليب الحجاج وآلياته في الأحاديث الأربعين النووية للوصول إلى دلالات عميقة، وأفضل نموذج لذلك بعد القرآن الكريم هو الحديث النبوي الشريف.
- 7. استكناه دلالات الخطاب النبوي الشريف المختار في الأحاديث الأربعين النووية، وبيان جمالياته البيانية، وقيمه التعبيرية، مستفيداً من معطيات البلاغة الجديدة في الكشف و التحليل عن بلاغة الحجاج فيه.

وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن حجاجية الحديث النبوي الشريف، ومن ثم تحقيق جملة من الأهداف أبرزها:

- الخطاب وقراءة الأحاديث النبوية على وجه الخصوص في سياقات مختلفة.
- ٢. يمكن للأنظار البلاغية الجديدة أن تأتي بإضافات دقيقة لتحليل بلاغة الحجاج في
   الأحاديث النبوية الشريفة.
  - ٣. الإسهام بجهد متواضع في محاولة قراءة الحديث النبوي الشريف قراءة جديدة.
- ٤. الإفادة من خصوصية الحديث النبوي ممثلة في بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم- التي تشكل قمة الخطاب البشري في كشف حاجة الخطاب إلى حوامل أخرى ترفده وتعززه.
- التأكيد على احتواء الخطاب النبوي الشريف مقاصد شرعية سامية ذات أبعاد تعد مدخلاً مناسباً من مداخل فهم الخطاب النبوي الشريف، وأداة من أدوات قراءته.

آ. استقصاء وسائل الحجاج البلاغية والمنطقية في الأحاديث الأربعين النووية، وكشف وظائفها التأثيرية المختلفة على المتلقى.

وتنطلق هذه الدراسة من مجموعة من الفرضيات التي يسعى الباحث للوصول إليها في ضوء استقراء الأحاديث الأربعين النووية، وهذه الفرضيات هي:

- ١. يكثر ورود الحجاج فيها وله منزلة خطابية منمازة.
- ٢. تكشف الدراسة عن جوانب الحجاج المختلفة في الخطاب النبوي في نصوص
   الأحاديث الأربعين النووية الشريفة.
- ٣. استثمار معطيات اللسانيات الحديثة، وآخر ما وصلت إليه من تطور في الدرس العربي في هذه الدراسة للإسهام في تأسيس درس بلاغي عربي متجدد؛ لأن الحديث النبوى الشريف يستجيب للدراسة اللسانية الحديثة التي تمد خطابه بوظائف جديدة.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة إلى معطيات ما أطلق عليه البلاغة الجديدة، حيث يعرض الظواهر كما بدت في الأحاديث الأربعين النووية ثم يكشف عن خفايا تلك الظواهر عبر قراءة وظيفية تسبر أغوار الأحاديث وتحاول التعرف عليها، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي عندما يتعلق الأمر بالبحث في عرض نشأة الدرس البلاغي العربي وتطوره، أو بتأصيل المفاهيم.

#### الدراسات السابقة:

بعد البحث الدقيق- وفي حدود علم الباحث - لم أعثر على دراسة لها صلة مباشرة بدراسة الأربعين النووية وفق مفاهيم البلاغة الجديدة.

#### الدراسات الموازية:

الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، نعيمة يعمر انن، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٢م.

- ۲- الحجاج في شعر النقائض دراسة تداولية، مكلي شامة، رسالة ماجستير، جامعة مولود
   معمري، تيزي وزو، الجزائر، ۲۰۰۹م.
- ۳- بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي، خديجة محفوظي، رسالة ماجستير،
   جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٦م.
- 3- التداولية في الخطاب القرآني- سورة الحجرات أنموذجاً- مقاربة تداولية، رسالة ماجستير، عميرة حملاوي ولامية العيسى، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، الجزائر، ٢٠١٥م.
- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، سامية الدريدي، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط١، ٢٠٠٥م.
- الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير، إعداد الطالبة: سعدية لكحل، إشراف الدكتورة: آمنة بلعلى/الجزائر.
- ٧- أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام، رسالة دكتوراه، إعداد الطالب: محمد بن سعد الشهراني، إشراف الدكتور: نصر بن محمد الفاهم/السودان.

## الفصل التمهيدي

- المطلب الأول: نبذة عن حياة المصنف الإمام النووي رحمه الله.
- المطلب الثاني: كتاب الأحاديث الأربعين النووية: ماهيته وأهميته.
  - المطلب الثالث: الحجاج (البلاغة الجديدة): مفهومه، وأهميته.

#### التمهيد

#### المطلب الأول: نبذة عن حياة المصنف الإمام النووي - رحمه الله-.

اسمه: هو يحيى بن شرف بن مُرِّيِّ بن حسن بن حسين بن محمد جمعة بن حزام.

نسبته: (النَّوَوِيُّ) إلى نَوَى، وهي قاعدة الجولان من أرض حوران من أعمال دمشق، فهو الدمشقي أيضا، خصوصًا وقد أقام الشيخ بدمشق نحوًا من ثمان وعشرين سنة، فهو النَّوَويُّ مولدًا.

كنيته: أبو زكريًا، مع أنّه من العُلَماء العزّاب، الذين آثروا العلم على الزواج؛ وإنما كُنّي لأنّ ذلك من السُنّة، وهو أن يكنى المسلم ولو لم يتزوج، أو لم يولد له، أو حتى لو كان صغيرًا، "وعن عائشة، قَالَت: أَتَيْتُ النّبِيّ – صلّى الله عَلَيْهِ وَسلّمَ – بِابْن الزّبير، فَحنّكَهُ بِتَمْرة، وقَالَ: "هذَا عَبْد الله، وَأَنْت أُم عَبْد الله" (يعني: ابن الزبير ابن أختها أم عَبْد الله عنهم –).

البيئة التي نشأ فيها: نشأ تحت كنف والده، وكان مستور الحال؛ فكان يعمل في دكان أبيه مدة، وكان الأطفال يُكْرِهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي ويقرأ القرآن الكريم، فرآه الشيخ ياسين - رحمه الله تعالى - وكان من صالحي ذلك الزمان، وهو على هذه الحالة، فقال للذي يعلمه القرآن الكريم وأوصاه به وقال له: هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال له المعلم: مُنجم أنت؟! فقال: لا؛ وإنما أنطقني الله - تعالى - بذلك، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه إلى أنْ ختم القرآن الكريم وقد ناهز الاحتلام.

ثم قَدِمَ به أبوه إلى دمشق، وكانت آنذاك مَحَطَّ العُلَماء وطلبة العلم، وكان عمره (١٩) سنة، فسكن المدرسة الرواحية، وقد قال الإمام النَّوويُّ نفسه: "وبقيت نحو سنتين لا أضع جنبي بالأرض، وأتقوَّت بجراية المدرسة" (٢).

<sup>(</sup>۱) الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط۱، ۲۰۰۱م، حديث رقم(۲٤٦۱۹).

<sup>(</sup>۲) السخاوي، شمس الدين، المنهل العذب الرَّوِيّ في ترجمة قطب الأولياء النوويّ، تحقيق: أحمد المزيدي، ط١، ٥٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٩- ١٣.

#### أمًّا كتبه، فمنها ما يأتى:

- اشرح صحيح الإمام مسلم"، وهو المعروف بـ "المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج".
  - ١. "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلَّى الله عليه وسلَّم-".
  - ٣. "رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلَّى الله عليه وسلَّم-".
    - ٤. "الأربعون حديثًا النَّوَويَّة"
- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير صلًى الله عليه وسلَّم-"، وهو اختصار لكتاب "الإرشاد" الذي هو مختصر كتاب "علوم الحديث"؛ للإمام أبي عمرو بن الصلاح.
- آرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق صلَّى الله عليه وسلَّم"، وهو اختصار كتاب "معرفة علوم الحديث"؛ للإمام أبى عمرو بن الصلاح.
- الإرشاد إلى بيان الأسماء المبهمات"، وهو اختصار كتاب "الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة"؛ للإمام الخطيب البغدادي.
  - ٨. "الخلاصة في أحاديث الأحكام"، وصل فيه إلى الزكاة.
    - "شرح سنن أبى داود"، وصل فيه إلى الوضوء.
  - ١٠. "التلخيص شرح صحيح الإمام البخاري"، وصل فيه إلى العلم.
    - ١١. "الإملاء على حديث إنما الأعمال بالنيات"(١).

وفاته: توفي الإمام النَّووِيُّ سنة ست وسبعين وستِّمائة من الهجرة عن خمس وأربعين سنة - رحمه الله تعالى (٢).

<sup>(</sup>۱) ابن العطار، علي بن إبراهيم، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، تحقيق مشهور آل سلمان، الدار الأثرية، ط۱، ۲۰۰۷م، ص۷۰– ۸۵.

<sup>(</sup>۲) المرجع نفسه، ص٤٣.

#### المطلب الثاني: كتاب الأحاديث الأربعين النووية: ماهيته وأهميته.

لقد امتازت جميع مؤلفات النووي، بالضبط والتدقيق والإنصاف، في عرض الأفكار والانتصار لرأي من الآراء، فلقد كان ينظر حاجة الناس فيما يؤلف من كتب وفيما شرح من مطولات وفيما يوضح من أفكار، فكأنه ينظر بنور الله، فيصيب المقصود وينال القبول من العلماء قبل العامة، حتى عُدَّت كتبه أمهات للكتب في مختلف جوانب العلم، ينهل العلماء وطلاب منها فكانت مرجعا لهم على مدار العصور (۱). ومن أعمال النووي هو جمعه لاثنين وأربعين حديثا، منها ستة وعشرون حديثا أملاها عليه أستاذه، الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح وأطلق عليها اسم الأحاديث الكلية لأنها من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ هذه الأحاديث ليزيد عليها ستة عشر حديثاً لتكتمل إلى اثنين وأربعين حديثاً، وسمى كتابه بالأربعين (۱).

اشتهرت هذه الأربعين بـ "النووية" نسبة لموطن جامعها (نوى بدمشق)، وأما هو فقد سماها "الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام". وأجاب المدابغي (٦) في حاشيته على (الفتح المبين بشرح الأربعين) على سؤال لماذا اشتهرت بالأربعين مع أن عددها اثنان وأربعون حديثا؟ حيث يقول: "هو من باب تسمية الكل باسم الجزء، فلا يقال قد اشتمل على اثنين وأربعين حديثا، وإن السابع والعشرين منها مشتمل على حديثين لاشتمالهما على معنى واحد، وإن المراد الكتاب المسمى بالأربعين فتكون الأربعين علما على المتن كله فيشمله جميع ما ذكر والخطبة وما بعدها من سبب التأليف فإنه لا شك من مسمى الكتاب وإن لم يكن من الأحاديث المعدودة، ولا ينافي هذا الثاني المراد منه. أفصح المؤلف الإمام النووي رحمه الله عن سبب تأليفها فقال: "وقد صنف العلماء في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات، فأول من علمته صنف فيه عبدالله بن المبارك، ثم محمد بن

<sup>(</sup>۱) محمد بلال، عبدالله، بادشاه، حافظ محمد، شواهد التشبيه في الأربعين النووية، جامعة بنجاب، لاهور – باكستان مجلة القسم العربي، عدد ۲۰۱۷، ۲۰۱۷م، ص٥٣.

<sup>(</sup>۲) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق ماهر ياسين الفحل، بيروت، لبنان، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢٦.

<sup>(</sup>٢) المدابغي: حسن بن على بن أحمد المنطاوي الشهير بالمدابغي (ت ١١٧٠هـ).

<sup>(</sup>٤) مؤلفها: أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي (٩٠٩ – ٩٧٣هـ).

أسلم الطوسي، - إلى أن قال - وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثاً، اقتداء بالأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام (١)، وهو قصد بذلك أصحاب الأربعين حديثاً، متأثرين بحديث رسول الله عليه وسلم الذي يرويه لنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء، واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف ومع هذا فإن العلماء قد أجازوا العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، هذا وإن النووي لم يعتمد على هذا الحديث، وقد أشار بذلك، بقوله: " فليس اعتمادي على هذا الحديث، وقد أشار بذلك، بقوله: " البيلغ اعتمادي على هذا الحديث، بل على قوله: صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة: "ليبلغ الشاهد منكم الغائب (٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم " نَضَر الله أمر أ سَمِعَ مِنًا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتّى يُبلِغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَ حَامِلِ فِقْهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ (٢).

#### منهجه:

أشار إلى ذلك في مقدمته بقوله: "وألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم، وأذكرها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها، ويعم الانتفاع بها إن شاء الله ثم أتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظه " فشروطه رحمه الله هي: أن تكون صحيحة ومعظمها في الصحيحين، وذكر ها محذوفة الإسناد، وأن يتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظها(٤).

<sup>(</sup>۱) محمد بلال، عبدالله، بادشاه، حافظ محمد، شواهد التشبيه في الأربعين النووية، جامعة بنجاب، لاهور – باكستان، مجلة القسم العربي، عدد ۲۰۱۷، ۲۰۱۷م، ص۵۰ وص۵۰.

<sup>(</sup>۲) النيسابوري، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط۱، ۲۰۱۰م، حديث رقم(۱۳۷۹).

<sup>(</sup>۲) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ۱۹۹۸م، ج٤، حديث رقم(٢٦٥٦).

<sup>(3)</sup> آل جبعان، ظافر بن حسن، علم الأربعينات والأربعين، ط١، ١٤٣٨هـ، ص٣٧.

#### المطلب الثالث: الحجاج (البلاغة الجديدة): مفهومه، وأهميته.

لا تكاد تخلو كتب التراث العربي الإسلامي وغيرها من تداول مصطلح "الحجاج" أو "الاحتجاج" أو "الاحتجاج" في عد ة مجالات، لذا فقد كثرت التعاريف حول مفهوم الحجاج و"دارت حول عناصر موضوعية وبنائية ووظيفية شتى "(١).

إن تحديد مفهوم الحجاج يختلف ويتنوع ويصعب حصره والإحاطة به فهو يتميز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله "إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية المنطقية والبلاغة التقليدية والدراسات القانونية والمقاربة اللسانية والخطابية المعاصرة"(٢).

إن الحجاج "جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقياً قاصداً إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"(٣).

وحد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية إنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة، وهو أن تطوى في انتقالاته الكثير من المقامات والكثير من النتائج، وأن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق، تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتاً أو إنكاراً كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم، وعلى هذا لا تكون الصفة البرهانية في القول شرطاً كافياً

<sup>(</sup>۱) العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، عدد ۲۰۰۰، صيف وخريف ۲۰۰۲م، ص٤٤.

<sup>(</sup>۲) جدي، إيمان، وروابحي، أحلام، الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان، رسالة ماجستير، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، إشراف الدكتور: عبد الحميد عمروش، ٢٠١٦ و ٢٠١٧م، ص ٢٦.

<sup>(</sup>٢) العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مرجع سابق، ص٤٤.

لتحصيل الاقتناع العملي الذي يهدف إليه الحجاج، فقد تستوفى برهانية الدليل<sup>(۱)</sup>. ولا يحصل معها اقتناع المخاطب فقد يحصل بدليل من الفساد الصوري مالا خفاء فيه، لأنَّ هذا الفساد تستره، إن لم تمحه قوة المضمون الدلالي في الخطاب الطبيعي، فالحجة الجدلية البالغة على ما يشوبها من اعتلال في الصورة، خير من البرهان الصحيح غير المقنع<sup>(۲)</sup>.

وهذا التركيز جعل الحجاج تواصليا، من خلال ما يقوم به في العملية التواصلية، إذ إنه يأتي كشكل من أشكال التواصل والتخاطب والحوار (٣).

مما جعل للظواهر الحجاجية أهمية كبرى في عملية الإقناع، لكونها تقدم الحجج والبراهين وتربطها بالنتيجة، والحجاج المبني على براهين صادقة يؤدي حتما إلى نتائج صادقة، أما الحجاج المبني على براهين كاذبة فمآله الدحض والنقض، فالحجة الصادقة تعبر عن شخصية صاحبها؛ ذلك أن السامع إذا علم أن الخطاب صادر عن قلب منافق وضمير مخادع لا يلقي له بالا، بل سيكون أدعى للنفور عما يريد المتكلم إقناع السامعين به، والانصراف عنه إذا ما يراه أفضل، وبذلك فإن الصدق في القول ومطابقة الظاهر للباطن أساس مهم من أسس الإقناع<sup>(1)</sup>.

<sup>(</sup>۱) عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٧م، ص٦٥ وص٦٦.

<sup>(</sup>٢) عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص٥٥وص٦٦.

<sup>(</sup>۲) عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ۲۰۰۷م، ص١٢.

<sup>(&</sup>lt;sup>3)</sup> آمنة بلعلى، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، عدد ۸۹، محرم ۲۲۶هـ، ۲۳ آذار ۲۰۰۳م، ص۲۲۶.

# الفصل الأول ظاهرة الحجاج بين القدماء والمحدثين

- المبحث الأول: الحجاج عند اليونان.
- المبحث الثاني: الحجاج في تراثنا البلاغي والنقدي.
- المبحث الثالث: الحجاج في الفكر النقدي الغربي الحديث وأثره في الدراسات العربية المعاصرة.

#### الفصل الأول

### ظاهرة الحجاج بين القدماء والمحدثين

#### المبحث الأول: الحجاج عند اليونان.

لقد تناول فلاسفة اليونان كثيراً من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من الدقة والشمول، ساعد على ذلك التفتح الديمقراطي الذي شهدته الحضارة اليونانية والذي حمل قدماء اليونان السفسطائيين (١) (سقراط، أفلاطون، أرسطو) للتنظير لفني الخطابة والجدل، مبينين من خلالهما إستراتيجية الإقناع، وهذه الإستراتيجية هي الحجاج نفسه قبل البحث في القول العلمي، ولعل آثار أرسطو هي أهم تلك الأعمال وأبلغها تأثيرا فيما سيلحقها من أبحاث ودارسات بلاغية وما يهمنا أساسا من هذه الأعمال آراؤه المتعلقة بالحجاج؛ فقد قدم أرسطو مفهوما للحجاج يجعله قاسما مشتركا بين الخطابة والجدل، ذلك أن الخطابة أو الريطوريقا بالمفهوم اليوناني كما ترجمها العرب القدامي، هي: "فن الإقناع عن طريق الخطابة أو الريطوريقا بالمفهوم اليوناني كما ترجمها العرب القدامي، الفارابي في قوله: "الخطابة صناعة قياسية غرضها الإقناع". لأن مهمة الخطابة ليست الإقناع بقدر ما هي البحث في كل حالة عن الوسائل الموجدة للإقناع". ومن المهم هنا أن نلفت الانتباه إلى ما هي البحث في كل حالة عن الوسائل الموجدة للإقناع المجاج بمجالي الخطابة والجدل، فقد أكد

السفسطة: تيار فكري ظهر في العالم الإغريقي، وقوي خصوصا في القرن الخامس قبل الميلاد (ق٠٥ ق م)، وكان السفسطائيون يتاجرون بالعلم، ويتلاعبون بمبادئ الأخلاق ويطمسون معالم الحق، ويبذرون بذور الشك في كل ما يصادفونه، فأنكروا حقيقة الفضيلة والعدالة، واعتبروهما في جانب القوة والمصلحة واللذة، يكونان حيث تكون هذه العناصر، ويعدمان بانعدامه. وقد يكون هذا من أسوا ما ابتدع من المبادئ ونظر من الآراء. وقد واجههم أفلاطون بعد ذلك بعدة محاورات ليثبت لهم فكره في الحجاج القائم على أن مقصد الحجاج ينطلق من الخطابة التي تعتمد على دعامتين أساسيتين هما العلم والخير، على عكس الحجاج السفسطائي الذي يعتبره حجاجا مخادعا لا أساس له من الصحة، ينظر الموقع: (www.ajurre.com) (ما هي السفسطة مقتطف) تاريخ الإطلاع ١١/١/١٨/٠٢م.

<sup>(</sup>۲) ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، لفريق البحث والبلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، سلسلة الآداب، ١٩٩١م، ص ٩٢و ٩٤ و ١١٠ و ١٤٢.

أرسطو وجود الحجاج في الخطابة، كما في الجدل، فهو القاسم المشترك بينهما، على سبيل المثال من حيث إن الجدل والخطابة حيث يقول أرسطو: "قوتان لإنتاج الحجج أي أن الخطابة تعتمد الحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل" ويكون اما استقراء أو قياساً ظاهراً، إن هذه العلاقة القائمة بين الجدل والخطابة من جهة نوع الحجج تجعل الخطابة كما يقول أرسطو نفسها فرعا من الجدل (۱). بعبارة أخرى إن الحجاج الجدلي ذو مجال فكري خالص، فهو عادة ما يكون بين شخصين يحاول كل منهما إقناع صاحبه بوجهة نظر معينة، وأما الحجاج الخطابي فمجاله توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنع الاعتقاد فهو حجاج موجه للجماهير (۲).

إذن فقد تتاول أرسطو الحجاج من زاوية بلاغية ومن زاوية جدلية؛ فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، ومن الزاوية الجدلية يعد الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية، وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها الضرورة، فهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدمه (أرسطو) لمفهوم الخطاب، إذ يبنيه انطلاقا من أنواع الحضور ومن الرغبة في الإقناع، ويحدده في ثلاثة أنواع: النوع الاستشاري، والنوع القضائي، والنوع القيمي، وقد ميز بين ثلاثة مستويات من الحجج:

(الأيتوس، والباتوس، واللوغوس) في علاقتها بالأركان الثلاث للفعل الخطابي: الخطيب والمستمع، والخطاب.

- الأيتوس: "Ethos الباث الخطيب": يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه.
- الباتوس: "Pathos: المتلقي المستمع": ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين.

<sup>(</sup>١) ينظر: صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص١٧٠.

<sup>(</sup>۲) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن ٤هـ، بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، ط٢، ٢٠١١م، ص١٨٠.

- اللوغوس: "Logos الرسالة - الخطبة": ويمثل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب لعقلاني في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي (١).

من هنا يمكن القول إن البلاغة الحجاجية قد اتضحت معالمها مع أرسطو من خلال مؤلفه المعروف بـ "الخطابة" حيث يعد أهم كتاب أنجز، ولعل تميز هذا الكتاب يرجع إلى تركيزه على الوظيفة الإقناعية التي استخلصها من بحثه ضمن المنطق الجدلي أو التواصل اليومي، مما أعطى للبلاغة بعداً حجاجياً انعكس في اهتمامها بالحجج ومقامات التواصل التي حصرها ضمن ثلاثة أجناس: القضائية، والاستشارية، والاحتفالية، قاده ذلك إلى وضع أسس الدرس الحجاجي، وقد دفع هذا "بيرلمان" إلى نعته بـ "أب الحجاج"، اعترافاً منه بفضله ومكانته في الدرس البلاغي الحجاجي، ولهذا وقف بيرلمان عند بلاغة أرسطو (٢).

(۱) جدي، إيمان، وروابحي، أحلام، الحجاج والمغالطة دراسة، مرجع سابق، ص٤٦.

<sup>(</sup>۲) بوز ناشة، نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجلة علوم إنسانية، الجزائر، عدد٤٤، ٢٠١٠م، ص٢١.

#### المبحث الثاني: الحجاج في تراثنا البلاغي والنقدي.

وهو عند العرب الحجاج والاحتجاج والجدل والجدال والمجادلة، ويضرب الحجاج بجذور قوية في الخطاب العربي، فضلا عن الدور المهم الذي لعبه في الحياة العقائدية والسياسية في البيئة العربية والإسلامية، وفضلا عن اعتماد البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي على نحو ما نرى في دفاع عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن بإقناع الناس بفكرة النظم، مما طبع دلائله بطبيعة حجاجية واضحة، فضلا عن كل ذلك شغل الحجاج بعض القدماء جنسا خاصا من الخطاب(۱).

لقد كانت إستراتيجية الإقناع بالحجاج واضحة في القرآن الكريم وأقوال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - كما نجد كثيراً من النماذج التي تجسد استعمال هذه الإستراتيجية في خطابات سبقت هذه الفترة بكثير، وتمثل ذلك في المنجزات الخطابية، والمنافرات القبلية في العصر الجاهلي، ثم تنامت الخطابات التي تجسد هذه الإستراتيجية بعد البعثة المحمدية في كثير من السياقات، وتبلورت في كثير من العلوم، كعلوم الفقه وأصوله، وعلم الكلام، والعلوم اللغوية، فقد كان الإقناع مطية للخطاب في تلك المحاورات والمناقشات، وكانت استراتيجيته بمختلف آلياتها هي الطريق الأقوم لإبراز مقاصد تلك العلوم وأفكارها وآرائها(٢).

فيما يخص موضوع الحجاج في البلاغة العربية القديمة، فلئن رأينا أن البلاغة الأرسطية لم تصنف بحسب الموضوعات، على اعتبار أنها متنوعة لا يمكن ضبطها، ولا بحسب بنيتها لأنها متغيرة تبعا لمقامات الإنجاز، فإنها صنفت بحسب المخاطبين (قضائية، واستشارية، ومحفلية)، لأنهم الموجهون لطبيعة الخطاب أولاً والمنجزون له ثانياً، ومن هنا يتجلى الطابع التداولي التواصلي في هذه البلاغة، ولئن كان الأمر كذلك بالنسبة للبلاغة الأرسطية فإن البلاغة العربية لم تهتم بادئ الأمر بالمخاطب مما جعل حضورهم لاحقاً، عاملا قويا في تغيير الخطاب البلاغي العربي وفي بروز

<sup>(</sup>١) العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مرجع سابق، ص٤٥.

<sup>(</sup>۲) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط۱، ۲۰۰٤م، ص۲۶۷.

بلاغة جديدة عمادها البيان والحوار والحجاج والإصغاء إلى الآخر، وذلك في وقت كان فيه صليل السيوف يعلو على صوت العقل<sup>(١)</sup>.

في هذا الجو الفكري الجديد يظهر "الجاحظ" مدافعا عن الحوار وثقافته، ومحاولا وضع نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع، يكون مركزها الخطاب اللغوي بكل ما يصاحبه من وسائل إشارية ورمزية، ودلالات لفظية وغير لفظية، وأساسها مراعاة أحوال المخاطبين "لأن أول البلاغة - في نظر الجاحظ - هو اجتماع آلاتها" فمدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. لكننا لا نكاد نستمر مع الجاحظ غير صفحات في (باب البيان) حتى نجده ينقل الكلام إلى البلاغة وكأنها مرادف للبيان، ثم لا نستمر طويلا حتى نجد كلمة (خطيب) تزاحم كلمة (بليغ) وتخصصها(۲)".

والبيان عنده يتسع ويضيق بحسب المقام، لكنه في كل الحالات هو البلاغة وهو الحجاج، إنه: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير... إنه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي.. لذا فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان (٣)".

يتجلى من هذا التحديد وعي الجاحظ بدور المكون اللغوي في بلاغة البيان من جهة، ثم الدور الأساسي للمكون الاجتماعي في التواصل والتأليف من جهة أخرى. لقد اهتم الجاحظ "بالفعل اللغوي" واعتبره الأساس لكل عملية بيانية حجاجية، ولأهمية هذا الفعل عنده نجده يعقد رسالة خاصة في "تفضيل النطق على الصمت" ويتوسل إثبات هذا الأمر، الذي قد يبدو بديهيا، ببناء حجاجي متنوع، فيه الأدلة القرآنية والشعر والثقافة والمنطق...الخ<sup>(3)</sup>.

<sup>(</sup>۱) الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط۱، ۲۰۰۸م، ص۲۱۰ وص۲۱۱.

<sup>(</sup>۲) العمري، محمد، المقام الخطابي والمقام الشعري ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠١م، ص١٢٥ وص١٢٦.

<sup>(</sup>۲) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج١، ص٧٥ وص٧٦.

<sup>(</sup>٤) الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص٢١١.

لقد كان "للحدث الكلامي" عند الجاحظ مكانة عظيمة، فهو أول مفكر عربي نقف في تراثه على نظرية متكاملة تقرر أن الكلام وهو المظهر العلمي لوجود اللغة المجردة، ينجز بالضرورة في سياق خاص يجب أن تراعى فيه، بالإضافة إلى الناحية اللغوية، جملة من العوامل الأخرى كالسامع والمقام وظروف المقال، وكل ما يقوم بين هذه العناصر "غير اللغوية" من روابط... وتحتل الوظيفة وهي في مصطلحه "الغاية" و"مدار الأمر" حجر الزاوية في هذا البناء لأنها مولد اللحمة والهدف الذي تسعى هذه الأطراف إلى تحقيقه (١).

والكلام في نظر الجاحظ لا يمكن تمييزه عن "البلاغة"، فهو في نظره يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما: أو لا؛ الوظيفة الخطابية وما يتصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة، وهي مصطلحات يكثر الجاحظ من استعمالها، ونلاحظ أن الخطب التي أوردها في هذا المجال تدور على ثلاثة محاور: محور ديني نجد فيه خطب النبي – صلى الله عليه وسلم-، وخطب الصحابة، ومحور سياسي نجد فيه خطب الحجاج وزياد وأنصارهما وخصومهما، ومحور ثالث جدلي مذهبي كان نتيجة للصراع الفكري الذي عرفه المسلمون منذ نهاية العصر الراشدي، واحتد بفعل التطورات الاجتماعية والسياسية والثقافية أيام الجاحظ، الذي كان هو نفسه طرفا فيه، ينافح عن إحدى الفرق، وهذه المحاور الثلاثة يغلب عليها طابع "الحجاج" الذي يكثر الجاحظ من ذكر مادته اللغوية بجميع اشتقاقاتها الصرفية ومتعلقاتها الدلالية، وهو يشير إلى أهميته باعتباره البلاغة حجاجا، وذلك عندما يعرفها بأنها "إظهار ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل(٢).

أما ثانياً فهي: "الفهم والإفهام" أو "البيان والتبيين" ولعلنا في غنى عن إثبات أن البيان في مفهومه العام يقتصر على أداء هذه الوظيفة... فتحقيق التواصل لا يتم إلا من وجه الإفهام والتفهم (٢).

<sup>(</sup>۱) صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، ١٨٥ م، ص١٨٥.

<sup>(</sup>٢) الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص٢١٢.

<sup>(</sup>٢) ينظر: صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، مرجع سابق، ص١٩٥٠.

ويرى د. محمد العمري أن مادة "البيان والتبيين" لا تخرج عن ثلاثة محاور أولهما: وظيفة البيان وقيمته، وثانيهما: العملية البيانية وأدواتها، أما الثالثة: فخاصة بالبيان العربي: قيمته وتاريخه (١).

في حين أن مفهوم البيان تتنازعه وظيفتان: أولها إفهامية والثانية حجاجية (إقناعية)، الأولى وما يتصل بها من عناصر المقام وخصائصه، أما الثانية فأساسها الفصاحة وإحكام الحجة ومعرفة أحوال المخاطبين ومستويات تقبلهم، وكذا اختيار المقال المناسب للمقام، ومن هنا كان عماد البلاغة "تمام الآلة وإحكام الصنعة(٢).

إن دراسة الحجاج عند الجاحظ ارتبطت بدراسته البيان، الذي اهتم فيه بالفهم والإفهام، وبذلك مفهوم البيان عنده يتلخص في المعرفة والإقناع كمفهومين ووظيفتين في آن معا؛ البيان معرفة: الوظيفة الإفهامية، والبيان إقناع: الوظيفة الإقناعية (٢). ومن العناصر الحجاجية التي اهتم بها الجاحظ نذكر: مقتضيات المقام وما تشمله من أحوال الخطيب وكفاءته اللغوية وهيئته وصفاته الخلقية وما يحسن عليه وما يقبح، فالجاحظ دائم الإلحاح على الشروط اللازم توفرها في الخطيب من حيث الخبرة والحذق للآلة البلاغية والنصوص الاستشهادية الضرورية لكل حجاج، هذا علاوة على تخير القالب اللغوي الكفيل بإنجاح الفحوى والمقاصد ودفع السامع إلى تحقيق المضامين النصية (أ). يقول الجاحظ: أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، لأن ذلك جهل بالمقامات، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام، وأحسن الذي قال لكل مقام مقال (٥).

<sup>(</sup>١) العمري، محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٩٩٩م، ص١٩٣-١٩٥٠.

<sup>(</sup>٢) الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص٢١٣.

<sup>(</sup>٣) العمرى، محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مرجع سابق، ص١٩٤.

<sup>(</sup>٤) الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص٢١٤.

<sup>(°)</sup> الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، مرجع سابق، ص٩٢.

ففي هذا النص يتضح أن الغاية القصوى عند الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) هي الخطاب الإقناعي الشفوي، وهو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع)على الوسيلة (اللغة)، وتحدد الأولى طبيعة الثانية، وشكلها حسب المقامات والأحوال(۱).

ونحن إذ نكتفي بهذا القدر حول رؤية الجاحظ البيانية الحجاجية والتي ظهرت في وقت مبكر من تاريخ الدارسات البلاغية العربية، نشير إلى أن الحجاج وما يتصل به من مباحث وخصائص نصية ومقامية قد تم تناولها في مصنفات عربية عدة بعد الجاحظ، لكن (الحجاج)وإن لم يكن متناسقاً، أي مشتتاً ضمن البيان، إلا أنه شمل معظم عناصر المقام ومحدداته الداخلية والخارجية وأدوارها الحجاجية، فالبيان الذي دعا إليه إنما هو حجاج بالمعنيين البلاغي والاجتماعي، ومن الجهود التي تبلورت كذلك لدارسة الحجاج ما يخص الضوابط التخاطبية في المناظرات، والتي يدونها القدماء لتقنينها في بعض أعمالهم التأليفية التي كانت تهتم أساسا بعقد المناظرات وتقعيل الحجاج، بوصفها الممارسات التي يتم فيها الخطاب الرامي إلى تحقيق الإقناع أكثر من أي هدف آخر (٢).

ويمكن الاستشهاد بما فعله الباجي في مقدمة منهاجه، حيث ذكر ما ينبغي للمناظر أن يتأدب به مع المرسل إليه، بيد أنه لم يغفل ما ينبغي أن يراعيه المرسل في حق نفسه<sup>(٦)</sup>. لقد أورد أبو الوليد الباجي في كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج" أن الحجاج يعد علما من أرفع العلوم قدرا وأعظمها مكانا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولو لا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة و لا اتضحت محجة و لا علم الصحيح من السقيم، و لا المعوج من المستقيم<sup>(٤)</sup>.

فالحجاج عنده من العلوم التي تتوفر على أركان وركائز ووجوه لمفهومه، ويرى الباجي أن الحجاج مرادف للجدل، فلو لا الجدل لما قامت حجة.

<sup>(</sup>١) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٤٤٨.

<sup>(</sup>Y) الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص٢١٥.

<sup>(</sup>٢) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٤٤٩.

<sup>(&</sup>lt;sup>3)</sup> الباجي، أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط۳، ۲۰۰۰م، ص۸ وص۹.

كما اهتم علماء البلاغة العربية بفكرة المقام ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، حتى قالوا: "لكل مقام مقال"، فأبو هلال العسكري يقول في كتابه "الصناعتين": "واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال، فإذا كنت متكلما أو احتجت إلى عمل خطبة لبعض ما تصلح الخطب أو قصيدة لبعض ما يراد له القصيد، فتخط ألفاظ المتكلمين مثل الجسم، والعرض والكون، والتأليف، والجوهر فإن ذلك هجنة"(١).

فأبو هلال العسكري يربط المقام بتغيير الغرض المنشود، فإذا كانت خطبة فغرضها الإقناع ومقامها الخطاب، أما الشعر فغرضه الاستمالة والتأثير، ويجب على كل من الخطيب والشاعر استعمال الوسائل للتأثير في المتلقي وإقناعه.

أما السكاكي فيقول في كتابه "مفتاح العلوم": "و لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترغيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل... وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فكل كلمة مع صاحبتها مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك يحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال "(٢).

إن الفهم السليم للكلام لا يقاس بفهم معنى الجمل فقط، بل بالإدراك السليم لمراد مقاصد المتكلم منه حتى يتحقق الإقناع والتأثيروبذلك يصل إلى النتيجة المرجوة.

إن علماء البلاغة العربية القديمة قد وجّهوا البلاغة لغاية تأثيرية إقناعية إقناع الجمهور والتأثير فيه، لذلك نجد البلاغة عندهم تهدف إلى أمرين: الوضوح (الارتجال) والتأثير (النفع) ونفهم من هذا القول أن البلاغة هنا قد أخذت كمحدد أساسي للخطابة، لأن الخطابة تخاطب جمهورا معينا ومن ثم حاجتها للبلاغة لإقناعه والتأثير فيه، فهي تحتاج بالتالي للصور البلاغية وللحجج والحجاج،

<sup>(</sup>١) العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م، ص١٣٥.

<sup>(</sup>۲) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط۲، ۱۹۸۷م، ص۱٦۸.

فالتأثير والاستمالة يتطلبان الإبانة والوضوح وأساليب الإقناع، ومن هذا المنطلق يجب الإقرار بوجود حجاج بلاغي يجد عناصره الأساسية في المعاني البلاغية كأدوات إقناعية مثل الشاهد والاستشهاد والحجة والدليل والاستدلال....(۱).

ومن جهة أخرى نجد السكاكي قد اهتم بدارسة بيان العبارة مقعدا بذلك لعلم البيان؛ إن علم البيان عنده هو اعتبار الملازمات بين المعاني، وموضوعه الصيغ التي لا تقف عند دلالتها الوضعية، بل تتجاوزها إلى دلالات عقلية، فالتجاوز يتم عن طريق اللزوم العقلي والاعتقادي (٢). وتتمثل أنواع الملازمات في:

- الانتقال من الملزوم إلى اللازم مثل: رعينا غيثا، والمراد لازمه وهو النبت، ويمثل هذا الانتقال المجاز.
- الانتقال من اللازم إلى الملزوم مثل: فلان طويل النجاد، والمراد طويل القامة الذي هو ملزوم طول النجاد، ويمثل هذا الانتقال الكناية.
- الانتقال من الملزوم إلى اللازم مع تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في الزم له وتمثله الاستعارة. وهكذا تحددت فنون علم البيان عند السكاكي في التشبيه، المجاز المرسل، والاستعارة والكناية (٣).

إن الصورة البيانية (الكناية، والتشبيه، والاستعارة) مقدمة كبرى تؤدي في نهاية الأمر إلى استنتاج باصطلاح المناطقة، أو معنى المعنى باصطلاح عبد القاهر الجرجاني، أو دلالة عقلية باصطلاح السكاكي، مما يجعل البيان ضرباً من ضروب الاستدلال قوامه البينة وغايته الإقناع. إن الصورة البيانية من أساليب الحجاج في البلاغة العربية، ترجع وظيفتها كلها إلى التأثير والإقناع

<sup>(</sup>۱) أعراب، الحبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي؛ عناصر استقصاء نظري، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج٣؛ الحجاج وحوار التخصصات، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٤.

<sup>(</sup>٢) عبد المجيد، جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٦٢.

 $<sup>^{(7)}</sup>$  المرجع السابق، ص۱٦۲ و $^{(7)}$ 

بحيث يهدف المخاطب إلى حمل المتلقي على التصديق بمدلول الخطاب والتسليم به والركون إليه، ويتميز هذا الإقناع بأنه نظري خيالي يقوم على الحجة، ويسعى إلى إثبات الرأي بالدليل<sup>(۱)</sup>.

أما بالنسبة لإسحاق بن وهب(ت ٣٣٧هـ) فيمكن تصنيف خلاصة فكره في الحجاج- من خلال مناقشته قضية الجدل والمجادلة في كتابه البرهان في وجوه البيان- في النقاط الرئيسية الآتية:

- ا. قدّم ابن وهب تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة، وضع فيه يده على مقصد الجدل ووقوعه في مسائل خلافية: "أما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات والتنصل في الاعتذارات".
- ٢. الجدل فيما يفهم من كلام ابن وهب خطاب تعليلي إقناعي، فالجدل إنما يقع في العلة من بين سائر الأشياء المسؤول عنها، وينبغي للمجيب إن سئل أن يقنع، وأن يكون إقناعه الإقناع الذي يوجب على السائل القبول وإذا كان الفلج في الجدل بإظهار الحجة التي تقنع، فالغالب هو الذي يظهر ذلك.
- 7. إذا كانت مقامات الجدل اختلافات وخصومات ونحوها، فإن الاعتبار الأخلاقي من أوجب ما توجبه تلك المقامات، بل هو أوجبها وليس التمييز بين جدل محمود وجدل مذموم فيما نفهم من كلام بن وهب إلا تمييزا ينظر فيه إلى حضور هذا الاعتبار أو غيابه، فالجدل المحمود ما قصد به الحق واستعمل فيه الصدق، والجدل المذموم ما أريد به المماراة والغلبة وطلب به الرياء والسمعة، وإذا كان القصد هو الحق والصواب، وجب على المجادل ألا تحمله قوة إن وجدها في نفسه، وصحة في تمييزه وجودة خاطره، وحسن بديهته، وبيان عارضته وثبات حجته، على أن يشرع في إثبات الشيء ونقضه، ويشرع في الاحتجاج له ولضده.

<sup>(</sup>۱) الواسطي، محمد، أساليب الحجاج في البلاغة العربية، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج٣، ط١، ٢٠١٠م، ص١٥٤.

والحق أن كثيرا مما اشترطه ابن وهب في "أدب الجدل" ينبغي أن يعزى إلى ذلك الاعتبار الأخلاقي، ومن أهم شروطه:

- أ. أن يحلم المجادل عما يسمع من الأذى والنبز.
  - ب. ألا يعجب برأيه وما تسوله له نفسه.
- ج. أن يكون منصفا غير مكابر، لأنه إنما يطلب الإنصاف من خصمه ويقصده بقوله وحجته.
- د. ألا يستصغر خصمه و لا يتهاون به، وإن كان الخصم صغير المحل في الجدال.
- هما ذكره ابن وهب في مبحثي الجدل والمجادلة وأدب الجدل ما يمكن أن ينظر إليه
   الآن من منظور الاستراتيجيات الاتصالية الحجاجية، ومن أهم ذلك:
  - أ. أن يبنى المجادل مقدماته مما يو افق الخصم عليه.
- ب. أن يصرف همته إلى حفظ النكت التي تمر في كلام خصمه مما يبني منها مقدماته، وينتج منها نتائجه، ويصحح ذلك في نفسه، ولا يشغل قلبه بتحفظ جميع كلام خصمه عنه، متى اشتغل، بذلك أضاع ما هو أحوج إليه منه.
  - ج. ألا يقبل قو لا إلا بحجة، و لا يرده إلا لعلة.
- د. ألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، ولا يبادر بالجواب قبل تدبره واستعمال الرويَّة فيه.
- ه. ألا يشغب إذا شاغبه خصمه ولا يرد عليه إذا أربى فيه كلامه، بل يستعمل الهدوء والوقار، ويقصد مع ذلك لوضع الحجة في موضعها، فإن ذلك أغلظ على خصمه من السب.

- و. أن يخاطب الناس بما يعهدون ويفهمون، فلا يخرج في خطابهم عما توجبه أوضاع الكلام<sup>(۱)</sup>. بمعنى أن يخاطب الناس حسب عقولهم ودرجات فهمهم ومقاماتهم(لكل مقام مقال).
- قول ابن وهب: "إنما الجدل يقع في العلة " مطابق لما تقول به النظرية الحجاجية المعاصرة في هذه النظرية الكائنات البشرية صانعه علة ومستخدمه علة، فالوقوف على كيفية صناعة الناس العلل واستخدامها هو الوسيلة الضرورية لبيان عملية تطوير الدعاوى ومنح الموالاة، وإذا كانت العلة في جوهرها في ما يقدم رداً على السؤال: لماذا؟ فإن العلة المقنعة في أن المستمع يمنح موالاته (٢).

<sup>(</sup>۱) العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، مرجع سابق، ص٤٦، ينظر: ابن وهب، إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، مصر، المكتبة الوقفية، ص١٧٦ – ص١٩٨.

<sup>(</sup>۲) العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، مرجع سابق، ص٢٦ وص٤٧. ينظر: ابن وهب، إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، مصر، المكتبة الوقفية، ص١٧٦ – ص١٩٨.

# المبحث الثالث: الحجاج في الفكر النقدي الغربي الحديث وأثره في الدراسات العربية المعاصرة.

يعد الحجاج نظرية غربية حديثة تناولها الباحثون من جانبين؛ جانب تداولي وقد ظهر ذلك من خلال أعمال "ديكرو"، وجانب بلاغي مع "بيرلمان". لقد وضع هذان العالمان أساس النظرية الحجاجية رغم اختلاف توجههما، علما أن البحث الحجاجي له جذوره القديمة التي تمتد إلى اليونان وبالتحديد إلى "أرسطو" الذي أرسى معالم الدرس الحجاجي، ولذلك استفاد الدرس الحجاجي الحديث من التراث اليوناني القديم، فحاول بعثه من جديد في ثوب جديد ألا وهو النظرية الحجاجية(١).

وسنعرض جهود أهم الباحثين وإسهامهم في إثراء الدرس الحجاجي من أمثال: بيرلمان وزميله تيتيكا في مصنفهما عن (البلاغة الجديدة)، (ديكرو وأنسكومبر) في (التداوليات المدمجة).

## البلاغة الجديدة أو نظرية الحجاج عند: بيرلمان (chaim Perelman)

حاول بيرلمان أن يجعل من النظرية البلاغية أداة تفسير وتحليل غيرها من الظواهر؛ الفلسفية والقانونية بالخصوص، من هنا تولدت حاجته إلى بناء تصور نظري للحجاج والدفاع عن أهميته وجدواه على ضوء المفاهيم البلاغية والفلسفية والقانونية، وإنَّ كتاب (مبحث في الحجاج، الخطابة الجديدة) شكّل نظرية حجاجية معاصرة لها أسس ومبادئ راسخة، وقد خلص الباحثان (بيرلمان وتيتيكا) – في هذا المصنف – الحجاج من ربقة المنطق ومن أسر الأبنية الاستدلالية والمجردة، مقربين إياه من مجالات استخدام اللغة مثل العلوم الإنسانية والفلسفة والقانون (۲).

يقدم بيرلمان تعريفا جديدا للحجاج، يجعله جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإقناع بما تعرضه عليه والزيادة في حجم هذا الإقناع معبرا عن غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو تهيئته إلى القيام بالعمل<sup>(٣)</sup>.

<sup>(</sup>١) بوز ناشة، نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مرجع سابق، ص١٠.

<sup>(</sup>۲) ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة - دراسة تداولية- رسالة الدكتور اه، إشراف الدكتور السعيد بن بر اهيم جامعة بانتة، ۲۰۱۰/۲۰۰۹م، ص۲۷.

<sup>(&</sup>lt;sup>۲)</sup> الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن ٤هـ، بنيته وأساليبه، مرجع سابق، ص ٢١.

إن بيرلمان في مؤلفه المشترك مع تيتيكا (La nouvelle Rhéthorique) والذي ظهر من قبل باسم (الخطابة الجديدة) (La nouvelle Rhéthorique) ينزل الحجاج بين الخطيب وجمهوره، أي أن يكون هناك تفاعل بين الخطيب والجمهور، ونجد صلته بالخطابة الأرسطية واضحة، ويعرف المؤلفان الحجاج بأنه: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم "(۱).

في موضع آخر يجعلان غاية الحجاج هي جعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة(٢).

وعلى هذا فإن مفهوم بيرلمان وتيتيكا يستند إلى صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى، بكيفية تجعل الحجاج شيئاً ثالثاً، لنقل إنه خطابة جديدة، فالحجاج – حسب التعريف المذكور – يأخذ من الجدل التأثير الذهني في المتلقي وتسليمه بما يقدم له وإذعانه لما يعرض عليه إذعانا نظرياً مجرداً مجاله العقل والإدراك، وهو يأخذ من الخطابة أيضا توجيه السلوك أو العمل والإعداد له والدفع إليه إن العمل الحاصل بواسطة الحجاج على صعيد العقل هو عمل التأثير النظري والإذعان والتسليم (وهو غاية الجدل عادة) مؤد إلى العمل السلوكي الذي كانت من جملة مصادره – في منظور الخطابة – العاطفة الملتهبة والمشاعر الجياشة، ومعنى هذا أن العمل المترتب على الحجاج ليس متوسلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنما هو عمل هيأ له العقل والتدبر والنظر وهكذا تكون قوى الإنسان (العقل والهوى) عندهما قوى متضامنة متفاعلة، لا قوى

<sup>(</sup>۱) صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج، "الخطابة الجديدة"، ليبرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، سلسلة آداب، ١٩٩٨م، ص٢٩٩٨.

<sup>(</sup>٢) المرجع نفسه الصفحة نفسها.

منعز لا بعضها عن بعض، وهو ما يدعمه قولهما منذ فاتحة كتابهما بأن حجاجهما أو خطابتهما الجديدة مرتبطة بالجدل والخطابة عند اليونان، ولكنه ارتباط تجاوز الإتباع إلى الإبداع(١).

يترتب على هذا شيء مهم جدا بالنسبة إلى من يقوم على دراسة الحجاج في نص مثل الحديث النبوي الشريف، وهو أن بيرلمان وتيتيكا بإضفائهما بعداً عقلياً على الحجاج أو الخطابة الجديدة، قد أخرجا الخطابة من دائرة الاتهام بالتلاعب بالجمهور على نحو ما فهمها أرسطو وبعض تلامذته من العرب في القديم مثل ابن سينا (ت ٢٨٤هـ)، وعلى نحو ما فهمها رولان بارت في بعض مقالاته في الحديث، إلى اعتبارها مدار محاورة يتقاسم فيها الخطيب مع جمهوره أرضية تفاهم واحدة ومقدمات ومنطلقات واحدة في الحجاج مثل الواقع والحقائق والقيم وكيفية ترتيبها ومثل المواضع أو الأفكار العامة المشتركة(٢).

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها بيرلمان وزميله تيتيكا في دراستهما للحجاج في الآتي:

- ان أهم ما قدمه المؤلفان هو محاولة تخليص الحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي
   كان سليل هذه الأخيرة خاصة عند أرسطو.
- ٢. تخليص الحجاج من بوتقة المنطق والأبنية الاستدلالية المجردة، وقرباه من مجالات استخدام اللغة مثل العلوم الإنسانية والفلسفية والقانون، ومن ثم فَتح مجالات للحجاج وتخليصه من النظرة الضيقة التي جعلته أداة تقنية صرفة.
- ٣. عدُّ الحجاج حواراً غير مرتبط بالجدل، كما رأينا عند أرسطو، فهو حوار بين الخطيب وجمهوره، ولا يمكن أن نعده مغالطة أو تلاعباً بالمشاعر والعقول.
  - :. الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية.
  - العملية الحجاجية عملية تنطلق من أطروحة وتتجه إلى الإقناع<sup>(٦)</sup>.

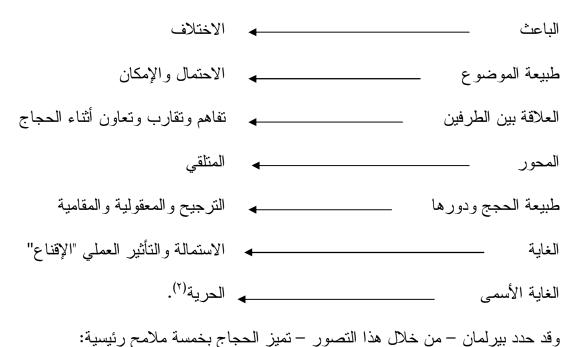
<sup>(</sup>١) صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٨وص٢٩.

<sup>&</sup>lt;sup>(۲)</sup> المرجع نفسه، ص ۲۹ وص ۳۰.

<sup>(</sup>T) جدي، إيمان، وروابحي، أحلام، الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان، مرجع سابق، ص ٤٩.

لقد حاول المؤلفان – من خلال كتابهما – إعادة الاعتبار لمجال الحجاج وتبرئته من جهة من تهمة المناورة والمغالطة والتلاعب بعواطف الجمهور وعقله أيضا، وتخليصه من جهة ثانية من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب، فالحجاج عندهما حوار يسعى إلى إحداث اتفاق بين الأطراف المتحاورة في جو من الحرية والمعقولية، أي أن التسليم برأي الآخر يكون بعيداً عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة، و بعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل، ومعنى هذا أن الحجاج، بوصفه حواراً ينبذ العنف، أضحى له مكان خاص إلى جانب البرهنة والإقناع، ومن ثم أصبحت له خصائص تميزه عنهم (۱).

والمخطط الآتي يوضح نظرية الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا:



- ١. أن يتوجه إلى مستمع.
- ٢. أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

<sup>(</sup>۱) لحويدق، عبد العزيز، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج٣، ط١، ٢٠١٠م، ص٣٤٤.

<sup>(</sup>۲) عبد المجيد، جميل، البلاغة و الاتصال، مرجع سابق، ص١١١.

- مسلماته وبديهياته لا تعدو كونها احتمالية.
- ألا يفتقر تقدمه وتناميه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
  - ٥. ونتائجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية).

إن هذه الملامح المتعلقة بالحجاج عند بيرلمان تبرز بعض المميزات التي يجب توافرها في الخطاب الحجاجي، إلا أنها غير كافية لإبراز الطبيعة والبعد الحجاجي أثناء التخاطب، على اعتبار أن الحجاج إستراتيجية لغوية تكتسب بعدها من سياق الخطاب، أي أن دور المقام والأحوال المصاحبة للخطاب غير جلى في هذا التصور (١).

أما مكونات الحجاج وعناصره فهي: المتكلم، والمستمع، والمقام، بالإضافة، بطبيعة الحال، إلى الخطاب (النص)؛ بوصفه المادة التي يترجم فيها مقاصده وأغراضه، هذه العناصر تتدرج مع بعضها البعض كمكونات لهذا الخطاب، وتتفاعل مع بعض لتحقق النجاعة، والتواصل في العملية الحجاجية. وأما الأساليب والتقنيات فتتلخص في كل الوسائل اللغوية والبلاغية والمنطقية التي يتوصل بها الخطاب إلى الإقناع والإذعان. ويحصرها بيرلمان وتيتيكا في تقنيتي الوصل والفصل(۱).

## (نظرية الأفعال الكلامية):

انطلقت المدرسة التحليلية الإنجليزية (أوستن وسيرل) من خلال نظرية أفعال الكلام، بمعارضة وتفنيد النظرية السويسرية والتي أقرت بأن اللغة هي مجرد نقل للمعلومات، ويرى "أوستن" أن الكلام العادي يتضمن متكلماً، ومتلقياً، وملفوظاً، كما توجد هناك عدة أفعال يمكن ربطها بالمتكلم... والمتكلم لا يصدر أصواتا فقط من خلال كلامه، ولكنه ينجز بعض الأفعال مما تصدر عنه هذه الأخيرة بعض الحجج التي من شأنها أن تقنع المتلقي.

<sup>(</sup>١) الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص١٠٧-١٠٩.

<sup>(</sup>۲) ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج، "الخطابة الجديدة"، ليبرلمان وتيتيكا، مرجع سابق، ص٣٢٥ وص٣٢٥.

فمن شروط الخطاب المتكلم والمستمع والملفوظ، كما أن هناك أفعالا تختص بالمتكلم فقط، كما ينجز هذا الخطاب بعض الأفعال التي تكون حججا في بعض الأحيان، وقسم "أوستن" في بداياته الأولى الجمل إلى وصفية (خبرية)، وجمل إنشائية، فيقول: "الجمل الخبرية هي الجمل التي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، والجمل الإنشائية هي التي يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق" ومن ثم لاحظ المقابلة بينهما ليست بالبساطة التي كان يظنها، وقد قادته هذه الملاحظة إلى الإقرار بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجازاً لغوياً واحداً على الأقل(١).

غير أن "أوستن" رفض بعد ذلك هذه الأقوال الثنائية التي وضعها في المنطلق بين العقل الإنشائي والفعل التقريري، وخلص إلى أن كل قول عمل، ولا توجد – إن أنعمنا النظر – جمل وصفية، ويرى أنه لما كانت الأقوال أعمالاً، فإنه يتعذر الحكم عليها بالصدق أو الكذب(٢).

وعليه فإن كل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين:

- إنجازية صريحة/ مباشرة: فعلها ظاهر (أمر، وحض، ودعاء، ونهي) بصيغة الزمن المنسوب إلى المتكلم.
- إنجازية ضمنية/ غير مباشرة: فعلها غير ظاهر، نحو: الاجتهاد مفيد، أقول الاجتهاد مفيد، آمرك أن تجتهد (٣).

وميز بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية:

الفعل القولي: يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي)، والتلفظ بالتراكيب (فعل تركيبي)،
 و استعمال التراكيب حسب دلالتها (فعل دلالي).

<sup>(</sup>۱) روبول، آن، وموشلير، جاك، التداولية اليوم، ترجمة: سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط۱، ۲۰۰۳م، ص ۳۰وص ۳۱.

<sup>(</sup>۲) ينظر: بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٩٦٠.

<sup>&</sup>lt;sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص ٩٦وص٩٧.

- الفعل الإنجازي: يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه: (يعد، ويخبر، ويعجب، وينذر...) ويشمل الجانب التبليغي والجانب التطبيقي.
- ٣. الفعل التأثيري (استلزامي): يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير
   عليه.

واستنادا لما تقدم قسم "أوستن" الأفعال الكلامية إلى مجموعات وظيفية:

- أفعال دالّة على الحكم: وهي الأفعال التي تبث في بعض القضايا، وتشمل على سبيل المثال: (أفعال التبرئة، والحكم...).
- أفعال الممارسة: وهي الأفعال التي تجلي ممارسة الحق، ولها قوة في فرض واقع جديد مثل: (الانتخاب، والتعبين، والاستشارة...)<sup>(۱)</sup>.
- أفعال الوعد: وهي التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب مثل: (القسم، والتعهد...).
- أفعال السلوك: وهي مجموعة متباينة مرتبطة بالسلوك الاجتماعي للمتكلم، والتي تحمله على اتخاذ موقف إزاء المخاطب مثل: (الاعتذار، والتهنئة، ....).
- أفعال العرض: وهي علاقة المتكلم مع ما يقوله عن طريق المحادثة أو المحاجة مثل: (الإثبات، والتأكيد، والنفي).

وقد أعاد سيرل اقتراحَ خمسةِ أفعال كلاميةٍ:

- أفعال الإثبات: غايتها الكلامية تكمن في جعل المتكلم مسؤو لاً عن وجود وضع للأشياء، ويشمل: التأكيد، والوصف، .....

<sup>(</sup>۱) ينظر: بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٩٦.

- أفعال التوجيه: وغايتها حملُ الشخص على القيام بفعل معين، وتشمل: الأمر، والنهي....
- أفعال الوعد: وغايتها إلزام المتكلم بالقيام بشيء معين (وهو لا يختلف عن تعريف أوستن له).
  - الأفعال التعبيرية: وتتمثل في التعبير عن حالة نفسية مثل: الاعتذار، والسرور....
- الإعلانات: غايتها إحداث تغيير عن طريق الإعلان وتشمل الأفعال الدالة على ذلك مثل: الإعلام، والإعلان، والإخبار...(١).

انطلاقا من تحديد معاني أفعال الكلام وتقسيماتها يرى "فان دايك" أن أفعال الكلام هي الغرض الرئيسي المتداولية، فيقول: "وغني عن القول أن تحليلا سليما الأفعال الكلام هو الغرض الرئيسي للتداولية الأنه الا يمكن أن يتم بغير فهم مسبق المعنى الفعل أو التصرف(٢)".

إذن: كيف يمكن أن يكون الحجاج جزءاً لا يتجزأ من الأفعال اللغوية خاصة والتداولية عامة؟ لأن بعض الباحثين يعتقدون أن دراسة الحجاج في الخطاب اللغوي هو شأن التداولية، ولهذا الاعتقاد ما يبرره، إذ بالفعل نجد الخطاب الحجاجي يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد وشروط القول والتلقي، وبعبارة أخرى إن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية، وبالتالي قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة، وهذا ما يجعله يدخل في صميم التداولية، بذلك يعد نصا تداوليا بسبب خضوعه لمبادئ القصدية والتأثير والفعالية ولأنه أيضا خطاب موجه من طرف المتكلم يتفاعل به مع المتلقي، ويهدف من ورائه إلى إقناعه والتأثير فيه (٣).

<sup>(</sup>۱) ينظر: بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٩٧ – ص٠٠٠.

<sup>(</sup>۲) دايك، فان، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيفي، إفريقيا الشرق، د.ط، ۲۲۷م، ص۲۲۷.

## ويظهر البعد التداولي للحجاج في عدة مستويات منها:

- أفعال اللغة المتداولة في الحجاج مثل: أكد، وأنكر، وأجاب، واعترض، مثل، فسر، ونقل أقوالاً...
- على مستوى السياق: وهنا السياق التداولي هو الذي يحكم الخطاب أو النص مثل: استعمالات السياقات: أجيب، وأستبط، وأعترض... إلخ. وهذان المستويان على أهمية كبيرة، ولكن يبقى المستوى الحواري أو التحاوري هو أهم مستوى في العملية الحجاجية والتداولية، فحضور الطرفين (المتكلم، والمستمع)، في الخطاب والدور الذي يلعبه كل منهما في إحداث التفاعل والحوار من شأنه أن يحقق نجاعة النص الحجاجي، ويجعله يصل إلى هدفه وهو بطبيعة الحال إقناع المستمع بفحوى الخطاب، وهذا هو هدف التداولية من حيث أنها تريد إحداث عملية تواصلية تحاورية تفاعلية بين طرفي الخطاب).

## نظرية الحجاج في اللغة عند "ديكرو":

إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي "أوزفالد ديكرو (O. ducrot)" منذ سنة الإمام عديدة التي وضع أسسها اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية وهذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها لقد تحدث (ديكرو) عن الحجاج في مؤلفه المشترك مع زميله أنسكومبر (Anscombre) (L'argumentation dans la langue) اليقرا بأن الحجاج متجذر في اللغة، أي أنه لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج والعكس صحيح، وفي الحقيقة لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من صلب نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها (أوستن وسيرل)، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار (أوستن) وآرائه على وجه الخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج، مما يعني أن الحجاج في رأيه لغوي لساني ومنه قام

<sup>(</sup>۱) أعراب، الحبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مرجع سابق، ص٣٥-٣٨.

(ديكرو) بإعادة تعريف مفهوم التكليم (التلفظ) أو الإنجاز بأنه: "فعل موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية أي مجموعة الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره"(۱).

فالخطاب وسيلة إخبارية تكمن غايته في التأثير على المتلقين، مما يدفع المتلقي إلى البحث والإدراك للوصول إلى غايات خفية من الخطاب ضمن دلالات واضحة وتأويل مقبول.

إن ديكرو يفرق بين معنيين للفظ الحجاج: المعنى العادي والمعنى الفني أو الاصطلاحي، والحجاج موضوع النظر في التداولية المدمجة هو بالمعنى الثاني:

- 1. الحجاج بالمعنى العادي: ويعني به طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعاً فعالاً، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معياراً كافياً، إذ يجب ألا تهمل طبيعة السامع أو (المتقبل)المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلا عن استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه.
- ٧. الحجاج بالمعنى الفني: يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية (salaire) أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصلة بين سلالم(٢).

كما قدم ديكرو مفاهيم الحجة التي تمثل بناءً استدلالياً أو عنصراً دلالياً يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، قد يرد في شكل قول أو نص أو مشهد طبيعي أو سلوك غير لفظي، كما تكون

<sup>(</sup>١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٦-١٦.

<sup>(</sup>۲) الحباشة، صابر، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدارسة والنشر، دمشق، سوريا، ط۱، ۸۰۰۸م، ص۱۵ وص۲۰۱۸

ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة للنتيجة والربط الحجاجي الذي يربط بينهما (١).

ويمكن أن نبين هذا على الشكل الآتى:

- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.
  - أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة.
    - أنا متعب.
    - أنا بحاجة إلى الراحة.

فإذا قارنا بين هذه الأقوال، فسنجد أنه تم التصريح بالحجة والرابط والنتيجة في المثال الأول، وتم التصريح بالحجة والنتيجة وأضمر الرابط في المثال الثاني، أما المثال الثالث فلم يصرح فيه إلا بالحجة، والنتيجة مضمرة يتم استنتاجها في السياق، ونجد عكس ذلك في المثال الرابع، حيث ذكرت النتيجة وأضمرت الحجة.

وتتميز هذه الحجج اللغوية بجملة من الخصائص منها:

- أنها سياقية: إن الحجة التي يقدمها المتكلم قد تؤدي إلى حجة أخرى، بحيث يمنحها السياق صبغة حجاجية، وبهذا تكون العبارة الواحدة المتضمنة لقضية واحدة حجة أو نتيجة، وذلك بحسب السياق.
- نسبية: إذ تحمل كل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما يدافع بها عن قضية معينة، لكن في المقابل يستدل الخصم بحجة قوية مناقضة ومضادة لها تكون أقوى منها، أي أن هناك حججاً قوية وحججاً ضعيفة تترتب بحسب درجتها.
  - قابلة للإبطال: يمكن للحجة أن ترفض أن تنقض بو اسطة حجة أخرى أقوى منها<sup>(٢)</sup>.

<sup>(</sup>١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص١٨٠.

<sup>(</sup>۲) المرجع السابق، ص۱۹ وص۲۰.

فالحجة إذاً: تتصف بالنسبية والمرونة، كما أن لها طابعا تدرجياً وسياقياً، بالإضافة إلى قابليتها للإبطال، غير أن هذه الحجة ترتب حسب القوة والضعف في سلم يسمى "السلم الحجاجي" لقد حصر الباحثان درس الحجاج في نطاق دراسة اللغة، لا في البحث عما هو واقع خارجها، فعندهما إن إمكانيات التتابع الحجاجي تحدد من خلال عمل لغوي مخصوص هو عمل الحجاج(١).

إن اللغة تحمل بعدا حجاجيا في جميع مستوياتها، فهي عند (ديكرو) وسيلة مجالية في جوهرها ومسرح لظهور المقتضى، باعتباره شكلاً من أهم الأشكال الحجاجية الكامنة فيها، يقول في هذا الصدد: "ليس المقتضى حدثاً بلاغياً مرتبطاً بالقول، وإنما هو منغرس في اللغة نفسها، وهو ما يدعونا - ضرورة - إلى أن نعد اللغة بصرف النظر عن استعمالاتها المختلفة لها مسرح محاورة ومواجهة بين الذوات البشرية "ومعلوم أن المقتضى باعتباره أداة حجاج ناجعة، يحصل في رأي (ديكرو) من التركيب وهو أمر بديهي، ولكنه يحصل في رأيه أيضاً من الكلمة، أما وظيفة الحجاج عندهما فتكمن في التوجيه، حتى أنهما حصرا دلالة الملفوظ في التوجيه الناتج عنه، ويحصل هذا التوجيه في مستويين: مستوى السامع، ومستوى الخطاب، خاصة مع ما بين المستويين من تداخل، والهدف في توجيه السامع أننا حين نتكلم إنما نروم في العادة التأثير في هذا السامع أو مواساته أو إقناعه، أو جعله يأتي عملاً ما أو إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك، إن أهم مأخذ قد يعيب هذه النظرية حصر صاحبيها دلالة الملفوظ في "التوجيه "والرأي - عندنا - (كما يقول صولة) أن دلالة الكلام (وحتى الكلمة) ليست الدرجة فحسب، وإنما التوجيه جزء من دلالة ذلك الكلام وبعض منها، فقد يكون لهذا الكلام بحسب المواقف التأويلية التي نقفها منه دلالات تتجاوز الحجاج والتوجيه، وتفيض عنهما، ونسمى ذلك الجزء من دلالة الكلام (أو الكلمة)"الدلالة الحجاجية" أو المعنى "المعنى الحجاجي" أو "الطاقة الحجاجية" أو "العمل الحجاجي" أو "الوظيفة الحجاجية" وإن اختلفت ربما معاني هذه التسميات $^{(7)}$ .

<sup>(</sup>١) صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٣٤.

<sup>(</sup>۲) المرجع نفسه، ص۳۵ وص۳٦.

وقد لخص محمد طروس أهم الأفكار الواردة في التداوليات المدمجة عند (ديكرو وأنسكومبر) وهي كالآتي:

- استقلال المقول عن المحتوى الخبري، ومن ثم عدم الحكم عليه بالصدق أو بالكذب، لأنه لا تنطبق عليه شروط الصدق، ومنه أصبح الحكم عليه يستند إلى القوة والضعف التي تحكم علاقة الحجج ببعضها البعض.
- سيندمج التداول في الوصف الدلالي، ويشتغل مباشرة على البنية التركيبية فيسمى "بالتداوليات المدمجة"، والوصف الدلالي آلة لها الكفاءة نفسها التي للذوات المتكلمة، تربط المعنى بالقول، وتصور لنا الحدث اللساني باعتباره امتدادا للذاتية، غير أن نظرية التداولية المدمجة ارتبطت بالسلالم الحجاجية، والروابط، والعوامل الحجاجية.

## السلم الحجاجي:

السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالآتي: ن: النتيجة ب، ج، د: الحجج وأدلة تخدم النتيجة "ن "فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تتتمي آنذاك إلى السلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة (٢).

ويتسم السلم الحجاجي بالسمتين الآتيتين:

- ب. إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها والعكس صحيح، فإذا أخذنا الأقوال الآتية:

<sup>(</sup>۱) جدي، إيمان، وروابحي، أحلام، الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان، مرجع سابق، ص٥٦وص٥٧.

<sup>(</sup>٢) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص ٢٠ وص ٢٠.

- حصل زيد على الشهادة الثانوية.
- حصل زيد على شهادة الإجازة.
- حصل زید علی شهادة الدکتوراه.

فهذه الحجج تتضمن حججاً تتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وإلى حكم حجاجي واحد، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل كفاءة زيد أو مكانته العلمية، ولكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد وعلى مكانته العلمية (۱).

## قوانين السلم الحجاجي:

وأهم هذه القوانين ثلاثة:

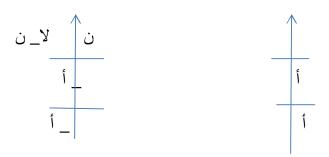
- انون النفي: إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه أي (أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، وبعبارة أخرى فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "ن" فإن "~أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لا ن" ويمكن أن نمثل لهذا بالمثالين التاليين:
  - ١. زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.
  - ٢. زيد ليس مجتهداً، إنه لم ينجح في الامتحان.

فإن قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول، وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني.

٢. قانون القلب: يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ويعد تتميما للقانون، ومفاده أن السلم المحاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية. إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من

<sup>(</sup>١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص ٢١.

نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة، ويمكن أن نرمز لها بواسطة السلمين الحجاجيين (١):



ولنوضح هذا بالمثالين التاليين:

- حصل زيد على الماجستير وحتى الدكتوراه.
- لم يحصل زيد على الدكتوراه بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.

- تانون الخفض: يوضح الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساوياً للعبارة "moins que" فعندما نستعمل جملاً من قبيل:
  - الجو ليس بارداً.
  - لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد، أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل، وسيؤول القول الثاني على النحو الآتي: لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل<sup>(٢)</sup>.

<sup>(</sup>١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص٢٢ وص٢٣٠.

<sup>(</sup>۲) المرجع نفسه، ص۲۱.

تتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، فلا تتدرج الأقوال الإثباتية من نمط: (الجو ليس باردا) في الفئة الحجاجية نفسها، ولا في السلم الحجاجي (١).

### الروابط والعوامل الحجاجية:

لما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر المواد التي يتم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، العربية مثلا، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات: (لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما، أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما...إلا...) لقد اقترح ديكرو وصفا حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات باعتباره بديلاً للوصف التقليدي، فبالنسبة لــ "حتى" ليس دورها منحصراً في أن تضيف إلى المعلومة (جاء زيد) في القول (حتى زيد جاء) معلومة أخرى (مجيء زيد غير متوقع) بل إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية (٢٠).

ويختلف الرابط الحجاجي عن العامل الحجاجي بتعدد أصنافه، وهذه الاصناف تتحكم في تحديدها مجموعة من المعايير منها معيار عدد المتغيرات، ومعيار وظيفة الرابط، ومعيار العلاقة بين الحجج التي يسوقها الرابط<sup>(٣)</sup>.

<sup>(</sup>١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص٢٣ - ص ٢٥.

المرجع نفسه، ص $^{(7)}$  المرجع نفسه، ص

<sup>(</sup>۲) الراضي، رشيد، الحجاجيات اللسانية، مقال ضمن كتاب: الحجاج؛ مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، ج ۲: مدارس وأعلام، ط۱، ۲۰۱۰م، ص ۱۰۱ وص۲۰۱۰.

### العامل الحجاجي:

إن العامل الحجاجي هو "صريفة" (مورفيم) إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ (١).

ولنوضح مفهوم العامل الحجاجي بشكل أكثر ندرس المثالين الآتيين:

- ١. الساعة تشير إلى الثامنة.
- ٢. لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر (لا...إلا) وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانات الحجاجية التي تتيحها، فإذا أخذنا القولين التاليين:

- ١. الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع.
- ٢. لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع.

فنلاحظ أن القول الأول سليم ومقبول تماماً، أما القول الثاني فيبدو غريبا ويتطلب سياقا خاصا حتى نستطيع تأويله، وإذا عدنا إلى المثال السابق (الساعة تشير إلى الثامنة) فسنجد له إمكانات حجاجية كثيرة، فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل: الدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء، هناك متسع من الوقت، موعد الأخبار... وبعبارة أخرى: فهو يخدم نتيجة من قبيل: (أسرع)، كما يخدم النتيجة المضادة لها لا تسرع، لكن عندما أدخلنا عليه العامل الحجاجي "لا... إلا" فإن إمكاناته الحجاجية تقلصت وأصبح الاستنتاج العادي والممكن هو: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع(٢).

<sup>(</sup>١) الراضى، رشيد، الحجاجيات اللسانية، مقال ضمن كتاب: الحجاج؛ مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ص٩٨.

<sup>(</sup>٢) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص٢٨ وص٢٩.

#### الرابط الحجاجي:

الرابط الحجاجي: "هو الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة".

فإذا أخذنا المثال الآتي: زيد مجتهد، إذن سينجح، فسنجد أنه يشتمل على حجة هي (زيد مجتهد) ونتيجة (سينجح) والرابط الحجاجي (إذن) الذي يربط بينهما، وقد ميز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط منها:

- أ. الروابط المدرجة للحجج: حتى بل لكن مع ذلك لأن... والروابط المدرجة للنتائج: إذن – لهذا – وبالتالي...
- ب. الروابط التي تدرج حججا قوية: حتى بل لكن لا سيما...
  - ج. روابط التعارض الحجاجي: بل لكن مع ذلك... $^{(1)}$ .

# الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة:

إن موضوع الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة قد غدا علماً قائماً بذاته، ومؤطراً بجملة من النظريات المعرفية التي تضبط أوجه استعمالاته في المجالات المختلفة، وقد قادت اجتهادات الغربيين – في مجال الحجاج في منتصف القرن الماضي – المفكرين العرب إلى بناء موقف حول هذ ا الدرس الجديد بالنسبة لهم يضرب في أعماق تراثهم، كما منحتهم الفرصة في إدراج مبحث الحجاج في منطق تفكير هم (٢).

وقد تبلورت هذه الجهود العربية في أعمال ثلة من الباحثين في نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: د. طه عبد الرحمن، و د. أبو بكر العزاوي، و د. محمد العمري.

<sup>(</sup>١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص٢٩ وص٣٠.

<sup>(</sup>۲) ينظر: ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، مرجع سابق، ص ١٧٠.

## الحجاج في الدرس الفلسفي (طه عبد الرحمن):

لقد حدد مفهومه لطبيعة الحجاج وآلياته، وقدمها في مصنفين: "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، و"اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"؛ حيث حاول من خلالهما إيجاد رابط منطقي لغوي، طوعه في سبك نظرية حجاجية تأخذ بقوة المنطق وسلامة اللغة، لذلك تميزت نظرته للحجاج بطابع فلسفي، ويُعَرِّفُ الحجاج بقوله: "وحَدُّ الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضاً جدلي لأن هدفه إقناعي، قائم بلوغه على التزام صور الستدلالية"(۱).

يختلف هذا المنهج الاستدلالي "الحجاج" باختلاف مراتب السلوك التخاطبي للإنسان، حيث جعل طه عبد الرحمن مراتب ثلاثاً هي: "الحوار، والمحاورة، والتحاور" وهي مراتب تناسب تصنيفاً ثلاثياً للنظريات المتداولة في مجال التحليل الخطابي، والتي سماها على التوالي: "النظرية العرضية" و"النظرية الاعتراضية" و"النظرية التعارضية" ").

فأما مرتبة الحوار "النظرية العرضية للحوارية" فإن العارض ينتهج في عرضه مناهج الاستدلال البرهاني، ويتميز هذا الأخير بخصائص صورية من تجديد وتدقيق وترتيب، ومن بسط للقواعد وتمايز للمستويات واستيفاء الشروط واستقصاء العناصر، وأما مرتبة المحاورة والنظرية الاعتراضية للحوارية، فإن المحاور يستند إلى المنهج الاستدلالي "الحجاج" وهو نموذج ينتمي إلى المجال التداولي، وكأن يطوي المحاور كثيراً من المقدمات والنتائج، ويفهم من قوله أمور غير تلك التي نطق بها، وكأن يذكر دليلاً صحيحاً على قوله من غير أن يقصد التدليل به، ويرى أن هذا المنهج هو سبيل احتجاجي لا برهاني يقيد فيه المقام التراكيب، ويرجح فيه العمل على النظر، وأما مرتبة التحاور والنظرية التعارضية للحوارية، فإن المتحاور يعتمد منهجا استدلاليا هو "التحاج" وتتمثل طرقه في أن يثبت المتحاور قولاً من أقاويله بدليل، ثم يعود ليثبته بدليل أقوى، وأن يثبت

<sup>(</sup>١) عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص٦٥.

<sup>(</sup>۲) المرجع السابق، ص ٤١ – ٤٩.

قوله بدليل ثم ينتقل لإثبات نقيضه بدليل آخر، وأن يثبت قولاً بدليل ويثبت نقيضه بعين الدليل (1). كما عقد بابا في كتابه "اللسان والميزان" سماه "الخطاب والحجاج" ؛ إذ يرى أن الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية والحجاجية والمجازية، بناء على أنه لا كلام بغير خطاب، ولا خطاب بغير حجاج، ولا حجاج بغير مجاز، ويرى أن الحجاج عبارة عن فعل تكلمي لغوي مركب أو مؤلف من أفعال تكلمية فرعية، وموجه إلى إثبات أو إبطال دعوى معينة وأن كل حجة خطابية ترد في سياق حواري معين ينبغي على المتلقي استحضارها للتعرف على بنيتها والتمكن من تقويمها، كما عرف الحجاج انطلاقاً من مبدأين أساسيين هما: "قصد الادعاء" و"قصد الاعتراض"، يقول: إذا حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها(٢). كما تحدث في كتابه عن "نماذج التواصل وأنواع الحجاج" ومراتب الحجاج وركز على دراسة السلم الحجاجي، ودراسة الاستعارة باعتبارها من أقدر الأساليب التعبيرية على إمداد الخطاب بالقوة.

## الحجاج في الدرس البلاغي (محمد العمري):

يعد محمد العمري أبرز بلاغي عربي يظهر عنده الاهتمام بمقولات البلاغة المعاصرة عامة والحجاجية خاصة، سواء من خلال دراسته المبكرة حول بعض مظاهر الإقناع في الخطابة العربية القديمة، أو من خلال ترجماته المتعددة لبعض رواد هذا التيار، أو اهتماماته الطموحة لإعادة رسم خارطة عامة للبلاغة العربية القديمة، روافدها، واتجاهاتها، وامتداداتها وخصائصها الصوتية والنحوية والمنطقية والمنطقية.

يهدف العمري في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي" إلى التنبيه إلى البعد الإقناعي للبلاغة العربية، هذا البعد الذي كان حاضراً عند الجاحظ على وجه الخصوص، ثم نسي هيمنة صياغة السكاكي للبلاغة العربية. ولقد طبق فيه الباحث التصور البلاغي لــِ" ليبرلمان واولبريخت" - لعمقه

<sup>(</sup>١) عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص٤٦ - ص٥١.

<sup>(</sup>۲) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٨، ص٢٢٦ و٢٦٣ و٢٧٠.

<sup>(</sup>٢) الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص٢٨٧.

وبساطته وارتباطه مباشرة بأرسطو، مما يسمح باستيعاب الجاحظ بيسر كما يقول – على الخطابة العربية في القرن الأول الهجري، مجتهداً في كشف آلياتها الإقناعية التي تميزها على الشعر<sup>(۱)</sup>. قد ركز على المقام خصوصاً في الخطابة السياسية وهي محاورة بين الأنداد، ويكثر فيها النصح، والمشاورات، والخطابة الاجتماعية وتكون فيها موضوعات اجتماعية تتناول العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع، وخطب ذات طبيعة وجدانية، هدفها المشاركة في المسرات والأحزان... وتعتمد على الحجج المقنعة والأسلوب الجميل المؤثر<sup>(۱)</sup>. وفي كتابه: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، يعرف العمري البلاغة بقوله: "البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو مما معاً، إيهاماً وتصديقاً"<sup>(۱)</sup>.

## الحجاج في الدرس اللساني (أبو بكر العزاوي):

يرتبط الدرس الحجاجي اللساني في العالم العربي ارتباطا وثيقا باللغوي المغربي أبو بكر العزاوي، الذي يؤكد في مؤلفاته وحواراته المختلفة أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية بقصد التأثير والإقناع، وهو ينطلق في أبحاثه من مبدأ عام هو: لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل<sup>(3)</sup>.

يؤكد العزاوي في مقدمة كتابه "اللغة والحجاج" (وهو دراسة وصفية للحجاج في اللغة العربية) فرضية الطبيعة الحجاجية للغة الطبيعية، كما يروم من خلالها اكتشاف منطق اللغة، ثم قدم تعريفا لمعنى الحجاج؛ إذ يعتبره إنجاز المتكلم لخطاب يعتمد على آليات التقديم والتسلسل والترتيب والاستنتاج بهدف التأثير والإقناع<sup>(٥)</sup>.

ويقر العزاوي في مؤلف (الخطاب والحجاج) أن مجال الحجاج ليس هو القول أو الجملة، وإنما مجاله الحقيقي هو الخطاب والحوار، حيث تظهر وجوه استعماله وتتجلى طرائق اشتغاله،

<sup>(</sup>١) ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، مرجع سابق، ص١٨٠.

<sup>(</sup>٢) العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٢م، ص٥٩ وص٦٠٠.

<sup>(</sup>٢) العمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، ص٦٠.

<sup>(</sup>ئ) ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، مرجع سابق، ص١٨٢.

<sup>(°)</sup> العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص٨.

ويؤكد هذه الفكرة من خلال تحليله - وفق منهجية النظرية الحجاجية المعاصرة - لمجموعة من الخطابات، الخطاب القرآني على رأسها، حيث درس البنية الحجاجية للخطاب القرآني ساعياً إلى إبراز الجوانب الحجاجية الاستدلالية المتجلية فيه، وبيان أهمية التحليل الحجاجي للنصوص والخطابات بمختلف أنواعها وأنماطها، ويرى أنها محاولة منه لاستجلاء بعض المظاهر الحجاجية للسورة القرآنية "سورة الأعلى" وأن الخطاب القرآني خطاب إلهي كتب بلغة طبيعية هي اللغة العربية، وهو موجه إلى كافة البشر، إنه خطاب يقوم على الحجاج والمنطق الطبيعي والاستدلال غير البرهاني (۱).

<sup>(</sup>۱) ينظر: العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، المغرب، ط ١، ٢٠٠٧م، ص١٧-٣٠.

# الفصل الثاني وسائل الحجاج البلاغية والمنطقية في الأحاديث الأربعين النووية

- المبحث الأول: أساليب الحجاج البلاغية وأثرها في الإقناع.
  - المبحث الثاني: الصورة البلاغية والإقناع.
    - المبحث الثالث: الوسائل المنطقية.

# الفصل الثاني

# وسائل الحجاج البلاغية والمنطقية في الأحاديث الأربعين النووية وأثرها في الإقناع

# الحجاج في السنة النبوية الشريفة:

تميز الفكر الإسلامي في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه كان تعليميا، مع ما تقتضيه العملية التعليمية من أدب الحوار والإنصات والتدبر بين المعلم والمتعلم، مع وجود فروق بين الصحابة الأجلاء في فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فكان منهم القرآء والحفاظ والفقهاء والعلماء.

وفي غير موضع من حياة النبي- صلى الله عليه وسلم- قصص تتحدث عن مناقشة الصحابة الكرام للنبي - صلى الله عليه وسلم-.

كما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – جادل المشركين فهذا عبدالله الزبعري السهمي يجادل النبي – صلى الله عليه وسلم – وسبب الجدال الآية (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ اللهِ عَلَى الله عليه وسلم – وسبب الجدال الآية (إنَّكُمْ وَمَا تعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ عليه وسلم – فلما دخل قرأ الآية وقال هو خاص لنا ولآلهتنا، أم لكل من عبد من دون الله؟ فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: بل لكل من عبد من دون الله، فتوهم، أنه غلب النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: ألم تزعم أن الملائكة صالحون وأن عيسى صالح؟ وهذه بنو مليح يعبدون عليه وهذه النصارى يعبدون عيسى، وخلاصة حجاجه أن الملائكة وعيسى يشملهم الحكم بدخول جهنم، فنزلت الآية (إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) (١)، فنرى هنا إطلاق الحكم على العموم للوصول الى إقامة الحجة، كما سماها أرسطو استعمال عبارة على معناها المطلق، على حين أنها مقيدة (١).

<sup>(</sup>١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٩٨.

<sup>(</sup>٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ١٠١.

<sup>(</sup>۲) ينظر: السبعاوي، طه عبدالله محمد، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مدرد من ٢١٢ وص٢١٦.

# المبحث الأول: أساليب الحجاج البلاغية وأثرها في الإقناع.

## ١. الاستفهام وأغراضه:

لقد اتفق الباحثون قديمهم وحديثهم على أن العمل الأساسي الذي ينجز بالسؤال هو عمل الحجاج، وهو دلالة قاطعة على أن الاستفهام يختص دون بقية الأعمال بأداء وظيفة ما قد ندرك قيمتها بالتأمل في قيمة العمل الحجاجي في المخاطبات العامة، كما توصل الباحثون إلى أن قيمة الاستفهام الحجاجية تعود إلى أسباب اختصاصه بإنجاز العمل الحجاجي، سواء أتعلق ذلك بالاستفهام الحقيقي أم الاستفهام غير الحقيقي (السؤال البلاغي)(۱).

وقد أدرجه كل من (أوستن وسيرل) ضمن الأفعال الإنجازية، كما ميز (ديكرو وأنسكومبر) في فصل من كتابهما (الحجاج في اللغة) نوعا من الاستفهام، وأطلقا عليه الاستفهام الحجاجي، وهو نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجية (٢).

لقد ميز التداوليون بين أنواع عديدة من الأعمال المشتقة من الاستفهام، وحرصوا على تصنيفها تصنيفها تصنيفا لم يكن فيه السؤال البلاغي سوى شكل مخصوص من أشكال خروج الاستفهام أو عدوله عن أصل معناه، وعرفوه (الاستفهام البلاغي): بأنه الاستفهام الذي لا يحتاج فيه صاحبه إلى الإجابة لبداهتها، واتفقوا على أن هذا النوع من الأسئلة له قيمة الخبر نفيا أو إثباتا، فالسؤال البلاغي هو كل استفهام خرج عن أصل معناه مهما كانت المعاني التي خرج إليها، ومهما كانت أسباب الخروج أو العدول(٢).

ويسمي (بلونتين) السؤال البلاغي الاستفهام الحجاجي أو السؤال الحجاجي، الذي ليس استخبارا أو طلب جواب، بل هو وسيلة حجاج، ويكون هذا السؤال عوضا عن جملة خبرية تكون منفية أو مثبتة<sup>(٤)</sup>.

<sup>(</sup>١) ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، مرجع سابق، ص٤٠٣.

<sup>(</sup>٢) العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مرجع سابق، ص ٥٧وص٥٨.

<sup>(</sup>٢) ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، مرجع سابق، ص٣٠٨.

<sup>(</sup>٤) صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٤٢٥.

إن السؤال البلاغي يقوم على خرق شرط الاستفهام الأساسي، وهو جهل المستفهم بما يطلب فهمه، الأمر الذي يجعل السائل عالما بوقوع المطلوب نفياً أو إثباتاً، ذلك أن السؤال ضرب من الإثبات غير المباشر، كما يلعب السؤال البلاغي – تقريباً – دور الإخبار عن الإجابة التي تكون بديهية للمتكلم والمخاطب معاً، باعتبار أن وظيفة السؤال لا تتعدى التذكير بالجواب نفسه، ومن هنا كان الإقرار بأن السؤال عن الشيء بلاغياً يوازي نفيه أو إثباته (۱).

وعلى الرغم من ضعف حضور أسلوب الاستفهام في الأحاديث الأربعين النووية؛ إلا إنه يشكل طرفاً رئيساً في منح الحديث النبوي الشريف صبغة مميزة، فأسلوب الاستفهام في أحاديث الأربعين النووية غالبا ما يعدل إلى معاني مجازية، وما ذلك إلّا لغاية إفهام المخاطبين.

## الحديث الثاني:

عن عمر - رضي الله عنه - قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي - صلى الله عليه وسلم-، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، ثم انطلق. فلبثت ملياً، ثم قال: "ياعمر أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". (رواه مسلم)().

<sup>(</sup>١) ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، مرجع سابق، ص٣٠٨.

 $<sup>(^{(</sup>Y)}$  صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم  $(^{(Y)}$ 

إن هذا المشهد الذي رأه الصحابة الكرام ما كان إلا للإقناع، الذي هو صفة الحجاج الأولى فهم يصدقون النبي - صلى الله عليه وسلم- بكل ما جاء به.

ونرى أن الاستفهام ليس عن الكلام بل عن الذي يسأل عن الكلام، فإخباره عن جبريل إنما ليس من باب الإنكار وإنما من باب الإقرار الذي يرسخ العقيدة عند الصحابة الكرام، ولتمكين الدين في نفوسهم أشد التمكن، وبيان ذلك لهم لأنهم مختصون بقيم الدين عن سائر الناس، وتمكينه في نفوس كل من يقرأ هذا الحديث، ويدرك جوانبه وأهدافه.

#### الحديث السابع:

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة"، قلنا لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". (رواه مسلم)(۱).

نلاحظ اهتمام الصحابة - رضي الله عنهم - في الوصول إلى أعلى مرتبة في الدين، فعندما قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: "الدين النصيحة"، مباشرة سألوا النبي - صلى الله عليه وسلم- يجيب ؛ ليُفهم وهذا من استثارة الأسئلة فهنا الصحابة يسألون والنبي - صلى الله عليه وسلم- يجيب ؛ ليُفهم المتلقين ويوصل الرسالة بطريقة سهلة، ويحدد من هم الذين يستحقون النصيحة، ويجعل هنالك نطاقاً لهذا الأمر، وكما نلاحظ أن الاستفهام يقنع المتلقي وهذه وظيفة حجاجية، قائمة على الإبلاغ، إنما جاء ذلك لترسيخ الإيمان في قلوب الصحابة - رضي الله عنهم - فيكون إيمان بالله، ورسوله، وكتابه (القرآن الكريم)، منقاداً لولاة الأمر لا يخرج عن طاعتهم، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، بذلك يكون إيمانهم مكتملاً موصلاً إلى الغاية الأسمى.

## الحديث الثاني والعشرون:

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: "أن رجلاً سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: أرأيت إذا صلّيت المكتوبات، وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً أأدخل الجنة؟ قال: نعم". (رواه مسلم)(٢).

<sup>(</sup>۱) صحیح مسلم، حدیث رقم (۵۵)، مرجع سابق.

<sup>&</sup>lt;sup>(۲)</sup> المرجع السابق.

نرى في هذا الحديث سؤال الرجل الذي اكتفى بركنين من أركان الإسلام، والحلال والحرام، فتأتي الإجابة لترغيب هذا الرجل بالإسلام، ولو كانت الإجابة غير ذلك لما عرف رد الرجل، فهو عندما يصلي ويصوم ويحل الحلال ويحرم الحرام، ويرتفع منسوب الإيمان سيعرف أن هذا ليس وحده الدين فقط، وسيبحث عن المزيد، فنرى حكمة النبي – صلى الله عليه وسلم – في إقناع الرجل وكسبه في الإسلام وإنقاذه من النار. فيكون السؤال هنا والإجابة دليلاً على الحوار البناء الذي يصل إلى نتائج مرضية، تجعل من الرجل مقتنعاً بطرح النبي – صلى الله عليه وسلم –.

## الحديث الخامس والعشرون:

عن أبي ذر رضي الله عنه أيضاً: أن ناساً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: "أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؛ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر". (رواه مسلم)(۱).

لحرص الصحابة هم دائما يسألون عن المزيد، وهذا الحديث دليل على ذلك فهم يتنافسون على أمور الآخرة المفضية إلى رضى الله عز وجل، فيقوم النبي – صلى الله عليه وسلم – بتوجيههم التوجيه الصحيح، حتى وصل إلى الجماع وهو أمر مباح، فسألوا كيف يكون هنالك صدقة فيه، فجاء بالاستفهام للتقرير تأكيداً للخبر الذي فيه إثقال كاهل صاحبه إذا وضعها في حرام، وتأكيداً على أجر من وضعها في حلال. فنرى أن الاستفهام لم يأت لمعنى حقيقي، وإنما لتقرير الأحكام في نفوس الصحابة.

<sup>(</sup>۱) صحیح مسلم، حدیث رقم(۱۰۰۱)، مرجع سابق.

## الحديث التاسع والعشرون:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حتى بلغ (يَعْمَلُون)(١). ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، وقال: كف عليك هذا، قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ثكاتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم". (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)(١).

نرى أن الحوار قائم بين أحد كبار الصحابة والنبي- صلى الله عليه وسلم- فكان الخطاب ليس موجها لفرد بل كان يهدف إلى إفهام المتلقي، من خلال (معاذ بن جبل) فهنا نرى أن الاستفهام خرج إلى معان مثل (التقرير، والتحذير....) ليوصل الرسالة إلى المرسل إليهم؛ لإقناعهم وترسيخ قيم الإسلام في نفوسهم، فأصبح هنالك حوار استفهامي، وتغيير وجهته الحقيقية من (طلب الفهم)إلى غاية مجازية (إفهام المتلقي).

فأسلوب الاستفهام في الأحاديث الأربعين النووية غالبا ما يعدل الى غاية مجازية، وذلك ليس لطلب العلم بشيء بل لإفهام المتلقي، ومن هنا ندرك أهمية السؤال من الناحية الحجاجية ؛ إذ لإثارة الاسئلة وظيفة حوارية، يكون فيها النقاش ومن ثم حجاجاً، حتى نرى أنه ماثل في كل نوع من أنواع الخطاب.

<sup>(</sup>۱) سورة السجدة الآيات (۱٦- ١٩).

<sup>(</sup>۲) سنن الترمذي، حديث رقم (۲٦١٦)، مرجع سابق.

#### ٢. التوكيد:

لم يكن أسلوب التوكيد في كلام العرب لوناً من ألوان الزينة، أو شكلاً من أشكال الحشو الذي يرهق النص بما لا فائدة منه و لا جدوى، وإنما هو ركن من أركان البناء اللغوي والبياني الذي زخرت به النصوص العربية، ويستعمل بترتيب درجاته لغوياً عند إنتاج الخطاب الخبري في ثلاث درجات من التوكيد، طبقا لثلاثة سياقات، كما يصنفها السكاكى:

- أ. الخبر الابتدائي.
  - ب. الخبر الطلبي.
- = الخبر الإنكاري<sup>(۱)</sup>.

إذ لا يستعمل المرسل في الخبر الابتدائي أي نوع من أنواع التوكيد، لأن المرسل إليه خالي الذهن من أي حكم سابق، إذ يكفي لذلك ما يعلمه من أن المرسل واثق من صدق خطابه، أما الخبر الطلبي فيلقي الخبر إلى المرسل إليه مؤكدا بأداة واحدة... وفي الخبر الإنكاري يستعمل أكثر من أداة توكيد، ليثبت صدقه حين يتصور أن المرسل إليه قد يكون منكراً (٢).

وسنعرض لبعض الأحاديث على كل نوع من أنواع الخبر.

## أ. الخبر الابتدائي.

## الحديث الثالث:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". (رواه البخاري<sup>(٣)</sup> ومسلم<sup>(٤)</sup>.

<sup>(</sup>۱) السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص١٧٠ وص١٧١.

<sup>(</sup>٢) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٢٤٥.

البخاري، أبي عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، ألفا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط٢، ٢٠١١، حديث رقم (٨).

<sup>(</sup>٤) صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم(١٦).

فنرى أن الخطاب النبوي يخلو من المؤكدات؛ لأن المتلقي (الصحابة) يصدق خطاب المرسل (النبي – صلى الله عليه وسلم –) فلم يحتج بذلك إلى هذه المؤكدات، وهذا من أساليب البلاغة النبوية وهي احترام عقول المتلقين فأسهم هذا الخبر غير المؤكد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – بإقناع الصحابة دون الحاجة إلى تأكيد الخبر بمؤكدات، فيعمق الفهم في نفوسهم، ويجعل فيهم الأساس الصحيح لهذا الدين.

## ومن الأحاديث أيضاً:

#### الحديث الخامس:

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". (رواه البخاري ومسلم)

وفي رواية لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"(١).

#### الحديث الثامن:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى". (رواه البخاري ومسلم)(٢).

فنلاحظ كثرة هذا النوع من الخطاب من دون مؤكدات ؛ لأن المتلقي يصدق الكلام من المرسل وليس هنالك حكم مسبق.

<sup>(</sup>۱) متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم(۱۷۱۸)، صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم(۲۲۹۷).

<sup>(</sup>۲) متفق علیه، صحیح مسلم حدیث رقم(۲۲)، صحیح البخاري حدیث رقم(۲۵).

ب. الخبر الطلبي.

من الأحاديث:

الحديث العاشر:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أيها الناس إنّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)(١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)(١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)(٢) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربِّ يا ربِّ ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟" (رواه مسلم)(٣).

فيؤكد النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الله لا يقبل أي عمل الا اذا كان طيبا ومصدره طيب. نلاحظ أن هذا النوع من الخطاب قليل مقارنة مع النوع الأول فهو يستخدمه لتأكيد أمر مخفي عن أعين الناس، مطلع عليه الله عز وجل.

ج. الخبر الإنكاري.

الحديث الرابع:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: حدّثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و هو الصادق المصدوق: "إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتنب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحد كم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم

<sup>(</sup>۱) سورة المؤمنون الآية (۱۰).

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة الآية (١٧٢).

<sup>(</sup>۲) صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم(۲۰۱۵).

ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها". (رواه البخاري ومسلم)(١).

يؤكد النبي – صلى الله عليه وسلم – الخبر بعدة أدوات؛ لتأكيد أمر غيبي ألا وهو خلق الانسان، ليتفكروا في أصل خلقتهم، وإن الله تكفل برزق العبد وأجله، ومخيراً بعمله، من ثم يبين حقيقة الأعمال الموصلة إلى رضوان الله، وغضبه، فيبين أن الإنسان لا يغتر بعمله مهما كثر، بل يكون دائماً بين الخوف والرجاء، فنلاحظ استخدام هذا الأسلوب للإقناع يُقرِّر حقيقة عند الصحابة وغيرهم أن الأعمال بخواتيمها ويؤكد على ذلك ويجعل هنالك صفة تأثيرية في نفوسهم.

# ومن الأحاديث أيضاً:

#### الحديث الثلاثون:

عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إنّ الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها". (حديث حسن رواه الدار قطني (۲).

ونسبة هذا النوع قليل لما سبقه لأن المتلقي هم الصحابة الكرام الذين لا يُكذبون ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم -.

لقد شكل التوكيد ركناً أساسياً في البناء الحجاجي في الحوار في الأحاديث الأربعين النووية إذ لعب دوراً مهماً في إظهار طاقاته الحجاجية وانفعالاته، عن طريق اللغة الحوارية وأوصل إلى الإقناع بصدق الحقائق الواردة في الأحاديث الأربعين النووية.

<sup>(</sup>۱) متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم(۲٦٤٣)، صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم(۳۲۰۸).

الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد، سنن الدارقطني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ج $^{\circ}$ ، حديث رقم(٤٣٩٣).

#### ٣. الطباق:

والطباق عند أهل البديع هو الجمع بين معنيين منتقابلين مثل (الحي، والميت)<sup>(۱)</sup>. والمطابقة في الكلام هي: الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة، مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحر والبرد<sup>(۲)</sup>.

أما ما جاء في الأحاديث الأربعين النووية من الطباق فهو كالآتي:

الحديث الثاني: بياض - سواد، خيره - وشره.

الحديث الرابع: شقي - سعيد، الجنة - النار.

الحديث السادس: الحلال - الحرام، صلحت - فسدت.

الحديث التاسع: نهيتكم - أمرتكم، اجتنبوه - فأتوا.

الحديث الخامس: عشر: فليقل - ليصمت.

الحديث الثامن: عشر: السيئة - الحسنة.

الحديث التاسع عشر: ينفعوك - يضروك، لك - عليك، أخطاك - يصيبك، الفرج - الكرب، العسر - اليسر.

الحديث الثاني والعشرون: أحللت - حرمت.

الحديث الثالث والعشرون: السماء - الأرض، لك - عليك، معتقها - موبقها.

الحديث الرابع والعشرون: ضال – هديته، جائع – أطعمته، عار – كسوته، ضري –نفعي، الليل – النهار، أولكم – آخركم، الأنس – الجن، زاد – نقص.

الحديث الخامس والعشرون: حلال - حرام، وزر - أجر.

<sup>(</sup>۱) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٥٥٠ (طبق)

<sup>(</sup>٢) العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، مرجع سابق، ص٣٠٧.

الحديث السابع والعشرون: البر - الإثم.

الحديث التاسع والعشرون: يدخلني - يباعدني، الجنة - النار، تعبد - تشرك.

الحديث السادس والثلاثون: الدنيا - الآخرة، أبطأ - يسرع.

الحديث السابع والثلاثون: الحسنات - السيئات.

الحديث الثاني والأربعون: السماء - الأرض.

ومثال على ذلك ما جاء في الحديث الثامن عشر: المسارعة لتحصيل الحسنات والمباعدة عن السيئات، أمر لابد له من عزيمة صادقة، فجاء الحديث يجمع بين الحسنة، والسيئة كما في قوله (وأتبع السيئة الحسنة تمحها)، جاء الطباق لترسيخ الفرق الشاسع بين الضدين ترغيباً بالحسنة، وابتعاداً عن السيئة.

ونلاحظ من خلال رصد الطباق في الأحاديث الأربعين النووية الاستعمال المكثف لهذا النوع البلاغي وذلك لأهميته في عملية التأثير والإقناع، لما له من قوة في جلب انتباه المتلقي واستمالته إلى الخطاب، عبر صور حسية ومعنوية تصور الواقع، إضافة إلى جرسها الايقاعي، للتركيز والتفكر في الكلام، وبذلك فإن استخدام هذا المحسن البديعي جعل هنالك قوة تأثيرية لما يقال، وقيمة توضيحية للخطاب، مما جعل منه ظاهرة بلاغية حجاجية في الأربعين النووية، دون تكلف وصنعة مما زاد في قوة التعبير ورونقه لدى المتلقى.

#### ٤. التكرار:

جاء في لسان العرب "كرر الشيء: أعاده مرة بعد مرة" (١). ويعرفه ابن الأثير بأنه "دلالة اللفظ على معنى مكرر"(٢). هو أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير ما، واللفظ المكرر منه

ابن منظور: جمال الدین محمد بن مکرم، لسان العرب، دار الفکر، بیروت، ط $^{(1)}$  اهـ، م $^{(2)}$  مادة کرر).

ابن الأثير: أبو الفتح ضياء الدين بن محمد بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج٣، ص٣.

هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنّما يكرر ما يثير اهتماماً عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه أو من هم في حكم المخاطبين ممن يصل القول إليهم على بعد الزمان والديار (۱). وقد استعمله النبي – صلّى الله عليه وسلم – لأنّه إنما يتكلم بلغة العرب وعلى مذاهبهم في الكلام ومن مذاهبهم في التكرار إرادة التوكيد والإفهام.

والتكرار في الحديث النبوي ضربان: تكرار بالمعنى فقط، وتكرار باللفظ والمعنى، وهو ما أشار إليه علماء البلاغة، إذ جعلوا التكرار على قسمين: تكرار بالمعنى وتكرار باللفظ، فقد ذكر ابن جنى التكرار عند العرب وقسمه إلى قسمين وجعله ضرباً من التوكيد، فقال: (اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له، فمـن ذلك التوكيد التكرير وهو على ضربين: أحدهما تكرير الأول بلفظه وهو نحو قولك: قام زيد، قام زيد، والثاني: تكرير الأول بمعناه وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتثبيت والتمكين، الأول كقولنا: قام القوم كلهم، ورأيتهم أجمعين، والثاني: قام زيد نفسه ورأيته نفسه)، والتكرار في الحديث النبوي لا يخرج عن هذا التقسيم، فالتكرار عنده – صلى الله عليه وسلم- إما تكرار بالمعنى فقط دون اللفظ و هو كثير، وإما تكرار باللفظ والمعنى، وقد يصبح تفسير استعمال النبي- صلى الله عليه وسلم - لهذا الأسلوب أكثر وضوحا إذا تذكرنا أن مهمته الأساسية هي التبليغ كما ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وكما أكَّد ذلك النبي - صلى الله عليه وسلَّم - في أحاديثه أيضاً، وإذا كانت مهمة النبي - صلى الله عليه وسلم - التبليغ والتعليم فهذا أمر يقتضى التكرار كما هو معروف الختالف حالة المخاطبين وتباين مستوياتهم في الاستيعاب والفهم، يقول جرونيباوم: (يجب ألاّ يغرب عن البال أن محمداً إنَّما كان يبغي أن يعلُّم وأن يصلح، والواعظ والمعلِّم مجبران بحكم عملهما في ذاته إلى التكر ار ، بل للي التكر ار بالألفاظ نفسها تقريباً)(٢).

<sup>(</sup>۱) السيد، عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص١٣٦٠.

<sup>(</sup>۲) نقلا عن: بدر الدين، أميمة، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق – المجلد ٢٦ –العدد ١ و ٢، ٢٠١٠م، ص٧٧ و ٧٨ و ٧٩.

# أما عن أقسام التكرار فهي كالآتي:

#### ١. تكرار الشكل: وفيه تكرر الألفاظ لتأكيد وصول الرسالة إلى المتلقين.

الحديث الأول: عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوي، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه". (رواه إماما المحدّثين: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفى، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة)(١). وكرر قوله: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) باللفظ نفسه ترغيبا للمسلمين في أن تكون نيتهم في كل عمل يقومون به مرضاة الله تعالى دائماً، جل هذا العمل أم صغر، فقد أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يؤكد أهمية النية في أي عمل يقوم به الإنسان، فعمل الإنسان مرهون بنيته، فإن صلحت صلح العمل، وإن فسدت فسد العمل جلُّ هذا العمل أم صغر، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) ولما كانت النية تؤلف ثلث عمل الإنسان أو ربعه كما أشار شارحو هذا الحديث فقد عمد النبي- صلى الله عليه وسلم - إلى تكراره وإبرازه في صور مختلفة، ولكن القاسم المشترك بينهما هو أهمية النية وإن اختلفت العبارات وتبدلت الألفاظ، فتكرار اللفظة تجعل منها صفة إقناعية في أهمية الهجرة إذا اقترنت بالنية الصادقة، فتكرارها يجعل من المتلقي في حلة من التركيز المتواصل على هذه الفكرة؛ لأنها أصل الحوار، ولم يقصر التكرار على اللفظة الواحدة بل تعداه إلى الجمل (فمن كانت هجرته)، فلم يأتِ عبثًا وإنما لتأكيد المعنى.

<sup>(</sup>۱) متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم (۱۹۰۷)، صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم (۱).

## ومن الأحاديث أيضاً:

#### الحديث الخامس عشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه". (رواه البخاري ومسلم)(١).

نلاحظ تكرار فعل الشرط (من كان يؤمن بالله) فلابد من جواب الشرط فنرى أن هذا الحديث فيه صفات المؤمن الذي يتحلى بصفات طيبة، وهي قول الخير، وإكرام الضيف، وحفظ الجوار، وجاء التكرار ليوصل معنى مؤكداً في الإيمان بالله، فنرى جلب الانتباه وإثارة السامع؛ لإيصال الرسالة بنجاح ليتحقق الفهم.

يتضح لنا أن التكرار اللفظي له وقعه على الأسماع والأذهان، مما يجعله ذا صفة حجاجية قصدها الإقناع.

#### ٢. تكرار المضمون:

إن هذا التكرار يحمل إضافة دقيقة لما كرر؛ من غير تشابه تام ويكون ضرورياً في الخطاب، لأنه يبقى المتلقى في حالة تذكر للخطاب، وقد تميز هذا النوع بتضمن معنى اللفظة بأخرى.

## الحديث الثاني:

عن عمر - رضي الله عنه - أيضاً قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال:

<sup>(</sup>۱) متفق عليه، صحيح مسلم مرجع سابق، حديث رقم(٤٧)، صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم(٦٠١٨).

فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، قال: فأخبرني عن أمار اتها؟ قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، ثم انطلق. فلبثت ملياً، ثم قال: "ياعمر أ تدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". (رواه مسلم)(۱).

فنرى تكرار (الحفاة العراة العالة) أن الحفي والعري من صفات (العالة) الفقراء؛ لتأكيد على صفاتهم، وقوله في حديث آخر.

## الحديث الأربعون:

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: أخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك". (رواه البخاري)(7).

فجاءت كلمة (غريب أو عابر سبيل) والثانية تأكيدا للأولى وهذا الارتباط يجعله مدعاة لربط المعنى كاملا والوصول إلى الغاية المنشودة.

ومنه تكرار مضمون الجمل فالمتكلم يحتفي احتفاء خاصا بإعادة صياغة المعنى، وكذلك ايقاعه التوازن، وهذا أمر يعكس تفكيرا مطولا، تغلب عليه السلاسة على الانتقالات المفاجئة أو السريعة (٣).

<sup>(</sup>۱) صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم (۸).

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق، حديث رقم (٦٤١٦).

<sup>(</sup>۲) العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م، ص٠١٩.

ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم -:

#### الحديث السابع عشر:

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح؛ وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته". (رواه مسلم)(١).

فهنا جملة (فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة) دلت على القتل بعمومه وجاءت جملة (وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة) شرحت القتل وبينت نوعه.

#### الحديث التاسع عشر:

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي - صلى الله عليه وسلم- يوماً، فقال لي: "يا غلام إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بله بينفعوك إلا بشيء ينفعوك إلا بشيء فقد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف". (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح)(٢). وفي رواية غير الترمذي: "احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً "(٣).

فنرى في قوله: (واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً) أن الجمل اللاحقة شرحت ما قبلها بل أنها خصصت العام، وجعلت بين الجمل علاقة مترابطة.

<sup>(</sup>۱) صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم (۱۹۵۵).

<sup>(</sup>۲) سنن الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم (۲٥١٦).

<sup>(</sup>٢) أحمد (٢٨٠٢ - الرسالة)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، والطبراني، الأوسط(٤١٧).

#### الحديث السابع والعشرين:

وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: "جئت تسأل عن البر؟ قلت نعم، قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك". (حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين: أحمد بن حنبل (۱). والدارمي (۲). بإسناد حسن).

وقد يكون الانتقال من خاص إلى عام كما في قوله:

(والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر) فهنا انتقال من خاص إلى عام ليشمل المعنى ويكون أكثر تأثيراً وإقناعاً لدى المتلقى.

فنرى لهذا التكرار الذي يحصل في الجمل له أهمية خاصة في دفع التأثير وإقناع المخاطبين واستمالتهم، فيكون أكثر تأثيراً من تكرار المفردة الواحدة، فهو أوسع في مدى الخطاب في النص، مما يجعله أكثر جذباً ومصداقية.

كما أن التكرار له دوافع فنية منها تحقيق الإيقاع السماعي، وإظهار الأسلوب المحكم، الذي له وقعه وتأثيره في النفس، إذ لابد من مراعاة المتكلم مقام الخطاب، وأصناف المخاطبين، فما يجوز في مقام، يستثقل في آخر.

لم يكن التكرار في الحديث النبوي ناجماً عن فقر لغوي، ولا عن عجر في التعبير، وإنّما كان مقصوداً متعمداً، جاء ليحمل جزءاً من المعنى المراد، فكان وسيلة من وسائل الدعوة، وطريقة من طرائقها، يستعمله النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا وجد ضرورة لذلك، فهو في موضعه كالإيجاز في موضعه، والحاجة إليه كالحاجة إلى غيره من الأساليب الأخرى، وقد أدرك أبو هلال العسكري هذا الأمر فأشار إليه بقوله: (وكلام الفصحاء مشوب الإيجاز بالإطناب، والفصيح العالي بما دون ذلك من القصد المتوسط ليستدلّ بالقصد على العالي، وليخرج

<sup>(</sup>١) الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم(١٧٩٩٩)، مرجع سابق.

<sup>(</sup>۲) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغنى للنشر والتوزيع، السعودية، ط۱، ۲۰۰۰م، ج۳، حديث رقم(۲۰۷۵).

السامع من شيء إلى شيء فيزداد نشاطه وتتوفر رغبته، فيصرفوه في وجوه الكلام، إيجازه وإطنابه حتى استعملوا التكرار ليؤكد القول للسامع، وقد جاء في القرآن وفصيح الشعر منه شيء كثير)، وهو ما أشار إليه عبد الكريم الخطيب في العصر الحديث فقال: (إن داعية التكرار قائمة في المواقف التي يكون فيها الأمر ذا شأن وخطر في الحياة الروحية والنفسية، فتقتضي الحال أن يقابل هذا الموقف بما ينبغي له الحضور النفسي والعقلي، وهذا لا يكون إلا بالتنبيه على هذا الموقف والدعوة له، والهتاف به، والتكرار أداة فعالة من أدوات الإيقاظ والتنبيه)(۱).

ويذهب الجاحظ إلى أبعد من ذلك فيرى أن التكرار لا يمكن أن نحكم عليه بالحسن أو العيب لأن ذلك يرتبط ارتباطاً تاماً بأقدار المستمعين، والمتكلم أعلم بحالتهم وحاجتهم، فقال: (وضبط الحاجة إلى التكرار والترداد غير ممكن لأنه أمر يتصل بأقدار المستمعين، ومن يحضر الحديث من العامة والخاصة)(٢).

إذن التكرار هو أسلوب وليس حلية زائدة له أهدافه وفائدته، فكان تكرار النبي- صلى الله عليه وسلم- لتحقيق غايات بلاغية حجاجية تصل بالمتلقي إلى الاقتناع والتصديق بذلك، فهو يؤدي إلى توليد بنيات جديدة في اللغة، ويعمل على انسجام النص وتوالده وتناميه، كل ذلك يأتي من أجل الإقناع والتأكيد على الفكرة في النص.

<sup>(</sup>١) نقلا عن: بدر الدين، أميمة، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مرجع سابق، ص١٠٠ وص١٠١.

<sup>(</sup>٢) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، مرجع سابق، ص١٠٥.

# المبحث الثاني: الصورة البلاغية وأثرها في الإقناع.

## ١. التشبيه والتمثيل:

يكاد يقع إجماع من اللغويين والبلاغيين على أن التمثيل والتشبيه لفظان متر ادفان (١).

فهما متفقان معنى و  $\ell$  فرق بينهما، "فالتشبيه لغة: تشبه الشيء بالشيء أي مثله به وقرنه $\ell^{(1)}$ .

غير أن هناك من يرى أن التشبيه أعم من التمثيل، فعبد القاهر الجرجاني عنده كل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيل، لأن التشبيه أعم، والتمثيل أخص منه، والتشبيهات عنده: "تراها لا يقع بها اعتداد ولا يكون لها موقع من السامعين، ولا تهز ولا تحرك، حتى يكون الشبه مقرراً بين شيئين مختلفين في الجنس". فكلما كان التباعد بين الشيئين في التشبيهات شديداً، كلما "كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب" وبلفت عبد القاهر الجرجاني الانتباه إلى القوة التأثيرية التي للتمثيل في فنون القول وضروبه: "مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها، وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً، فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم، وإن كان حجاجاً وكلف برود وسلطانه أقهر وبيانه أبهر"(").

وهذا ما يعمد إليه المرسل لبيان الحال، والإقناع بما يذهب إليه، فالتمثيل هو عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المرسل من الاجتماع لبيان حججه (٤).

<sup>(</sup>١) ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ج٢، ص٩٣.

<sup>(</sup>۲) الزناد، الأزهر، دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص١٥.

<sup>(</sup>۲) تجاني، أمينة، الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني ــ دراسة في وسائل الإقناع، رسالة ماجستير، جامعة حمو لخضر الوادي، الجزائر، إشراف الدكتور: على زيتونة مسعود، ٢٠١٤م و ٢٠١٥م، ص٥٥ و٥٥٠.

<sup>(</sup>٤) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٤٩٧.

وعند الإمام القزويني: "التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور "(١).

أما في الدراسات الغربية الحديثة، فيرى بيرلمان أن التمثيل: "طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائماً، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة"(٢).

وسنحاول دراسة التشبيه من خلال ما يوفره من قوة حجاجية تأثيرية قادرة على إثارة المتلقين وإقناعهم.

#### الحديث السادس:

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب". (رواه البخاري ومسلم)(۱).

فنرى في قوله: (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه) أن التشبيه زاد المعنى وضوحاً وجمالاً؛ لأنه شبه أمر الوقوع في الحرام، والتعدي على محارم الله، بأمر واقعي وهو اقتراب الراعي من الحمى يوشك أن يرتع فيه، وهنا الرتع وهو الاستقرار والانغماس، فإذا انغمس الإنسان في المحرمات واستقر فيها فإنه أمر صعب على النفس البشرية الخروج منه، ولا بد من عزيمة وتوبة صادقة، فهو يحذر قبل الوقوع في الحرام، فلابد من

<sup>(</sup>۱) القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط۱، ۲۰۰۳م، ص۲۰۲/۱۶۸.

<sup>(</sup>۲) عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، مرجع سابق، ص٩٧.

<sup>(</sup>٢) متفق عليه، صحيح مسلم مرجع سابق، حديث رقم (١٥٩٩)، صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم (٥٢).

ترك مسافة بينه وبين الحمى حتى لا يرتع فيه، وكذلك مسافة آمنة بعيدة عن المحارم، وذلك بتقوى الله وطاعته.

إن تصوير هذا الأمر بهذه الصورة الجميلة يترك أثراً في نفس المتلقي يدرك فيه أهمية البعد عن المحرمات والتزام الطاعات، وعدم التفريط في أو امر الله سبحانه وتعالى.

ومن الأمثلة أيضاً:

#### الحديث العاشر:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله تعلى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النِينَ اللهِ سُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (١). وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّينَ اللهُ اللهُ مُن الطَّيبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (١). وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ (١). ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟" (رواه مسلم) (٣).

فنرى تنويع النبي – صلى الله عليه وسلم – في التشبيه والتمثيل، ولو تمعنا في قوله: (ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟". نصل إلى أن تصوير النبي – صلى الله عليه وسلم – الحي الدال على تأثير الطعام والشراب والملبس وكل ما يختص بأمور الإنسان، ومع صفات التذلل السفر وأشعث أغبر والتوجه إلى الله بالدعاء، كل ذلك لا يكون سبباً في الإجابة إذا كان المأكل والمشرب والملبس حراماً، بل إنه من سوء الأدب مع الله تعالى أن يكون بهذه الصفات أو غيرها، إنما ويرجو الإجابة، بل إن السبب الذي يكون سبباً في إجابة الدعوة مع هذه الصفات أو غيرها، إنما تكون بتقوى الله، وتطييب المأكل والمشرب والملبس، ثم التذلل لله تعالى بالدعاء دون قنوط من

<sup>(</sup>۱) سورة المؤمنون الآية (۵۱).

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة الآية (١٧٢).

<sup>(</sup>٣) صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم(١٠١٥).

رحمته، فيكون هذا التمثيل سبباً في الإقناع والتأثير على المتلقي بطلب الحلال وتأثيره على حياة الإنسان.

إن ضرب الأمثال يستفاد منه أمور كثيرة منها: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد الى العقل، وتصويره بصورة المحسوس؛ فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد(١).

ونقول إن تشبيهات السنة النبوية في الأربعين النووية على غرار تشبيهات القرآن ليس فيها تعقيد أو غموض، بل يستطيع كل إنسان في أي زمان ومكان أن يفهم هذه التشبيهات، فهي تتسم بالعمومية التي توصل المقصود، وهذا سبب خلودها.

#### ٢. الاستعارة:

هي مجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أو هي تشبيه بليغ سكت عن أحد طرفيه، وذكر فيه الطرف الآخر، فالمتكلم يستعير لفظ المشبه به ليستعمله للدلالة على المشبه ثم يرجعه إلى مجاله الأصلى (٢).

إن الدراسات التي اهتمت بالاستعارة نوعان: نوع ذو طابع نقدي – أدبي، يهتم بالاستعارة أو بغيرها من صور المجاز ووجوه، باعتبارها شكلا أدبيا، والنوع الثاني ذو طابع بلاغي – حجاجي يهتم بالاستعارة، باعتبارها من تقنيات الخطاب الإقناعي، أي باعتبار وظيفتها الحجاجية لا باعتبار وظيفتها التزيينية، وبالعودة إلى تراثنا العربي نجد أن عبد القاهر الجرجاني " أول من استخدم أدوات حجاجية لوصف الاستعارة... هو الذي أدخل مفهوم الإدّعاء بمقتضياته التداولية الثلاثة: التقرير، والتحقيق، والتدليل "(٣).

<sup>(</sup>۱) ينظر: تجاني، أمينة، الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني ــ دراسة في وسائل الإقناع، مرجع سابق، ص٥٣٠.

<sup>(</sup>٢) الزناد، الأزهر، دروس في البلاغة العربية، مرجع سابق، ص٥٩ و ٦٠.

<sup>(</sup>۳) عبد الرحمن، طه، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، مجلة المناظرة، العدد٤، السنة٢، ماي/١٩٩١م، ص٧٠.

وتقوم حجاجية الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني على مفهوم الادعاء (۱). فالاستعارة ليست حركة في الألفاظ وإنما هي حركة في المعاني والدلالات، وهي ليست بديعا بل هي طريقة من طرق الإثبات الذي يقوم على الادعاء من هنا يتضح أن القول الاستعاري عند عبد القاهر الجرجاني تجتمع له الأوصاف الثلاثة: أنه تركيب خبري، وأنه قابل للأخذ على جهة الحقيقة، وأنه مشتمل على بنية تدليلية، وكل قول هذه أوصافه يعد في سياق الجدل الذي نهجه الجرجاني بمنزلة "دعوى"، كما يعد صاحبه "مدعياً"، ويعد عمله "ادّعاءً" (۱).

إذن: من هنا نستخلص وجود تصور حجاجي للاستعارة في البلاغة القديمة، وليس فقط أداة لزينة، بل إنه تصور جديد جاء على حد تعبير طه عبد الرحمن إبطالاً للدعوى التي ما فتئت تجعل الغاية القصوى من الاستعارة التوسل بالتخييل واصطناع التجميل<sup>(٦)</sup>.

وكان عبد القاهر الجرجاني من أشد المدافعين عن هذا التصور الجديد، فالاستعارة عنده هي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان ويسجل أن العرب وأهل البلاغة والأدب منهم لا يكون استحسانهم منصرفاً إلا إلى استعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها، فهي تبرر كل صورة مستجدة (٤).

فالاستعارة ليست مجرد زينة أو محسن بديعي، بل هي مكون بنيوي للمعنى، وفوق ذلك لها القدرة على أن تجعل هذا المعنى أكثر حيوية، كان هناك خاصية نفسية انفعالية تلازم القول الاستعاري، فالاستعارة لا تسمح بأن يشارك المتلقي متكلمه في الفكرة أو في الدعوى التي يدعيها

<sup>(</sup>۱) ينظر: أبو زيد، أحمد، الاستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة، العدد ٤، السنة ٢، ماي/١٩٩١م، ص٤٦و٤٤.

<sup>(</sup>٢) ينظر: عبد الرحمن، طه، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، مرجع سابق، ص٦٣.

<sup>&</sup>lt;sup>(۳)</sup> المرجع نفسه، ص٥٧ - ٦٠.

<sup>(&</sup>lt;sup>3)</sup> الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص١٣٦.

فقط، بل هي تدفعه إلى أن يشاركه إحساسه وانفعاله، فحجاجية الاستعارة إذن تعني أن لها وظيفة مركبة يرتبط فيها العقل بالإحساس والفكري بالنفسي (١).

فعندما تقول: "رأيت أسداً" فإنك – على حد تعبير عبد القاهر الجرجاني – أفدت بهذه الاستعارة ما لولاها لم يحصل لك وهو المبالغة في وصف المقصود بالشجاعة وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وبأسه وشدته، والاستعارة المفيدة عند عبد القاهر الجرجاني هي التي تكون: أمد ميداناً وأشد افتتاناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حساً وإحساساً، وأوسع سعة وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً، من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم وأسحر سحراً، وأملاً بكل ما يملاً صدراً، و يمتع عقلاً، ويؤنس نفساً، ويوفر أنساً (٢).

بمعنى أن الاستعارة المفيدة عند عبد القاهر الجرجاني هي هذه التي تتجح في الحجج بطرقها الخاصة بين قطبين أساسيين في كل إقناع: العقل والنفس، فهي تمتع العقل وتصيب الفؤ اد<sup>(٣)</sup>.

وهذا التصور للاستعارة وحجاجيتها عند البلاغيين العرب القدامى يلتقي مع النظريات الحجاجية والبلاغية للاستعارة ووظيفتها الحجاجية.

وهذا ما اعتقده بيرلمان في أبحاثه حول الاستعارة، إذ عدها مقوماً حجاجياً إقناعياً، فالاستعارة متى نجحت في استمالة المخاطب لم تعتبر زخرفة، وإنما تعد مقوماً حجاجياً ويوضح بيرلمان تصوره للاستعارة بقوله: "إن أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا"(٤).

<sup>(</sup>۱) المودن، حسن، حجاجية المجاز والاستعارة، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج٣، الحجاج وحوار التخصصات، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٠١٠.

<sup>(</sup>٢) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص١٢٦ و١٣٦.

<sup>(</sup>٢) المودن، حسن، حجاجية المجاز و الاستعارة، مرجع سابق، ص١٦٦ و١٦٦.

<sup>(&</sup>lt;sup>3)</sup> ينظر الولي، محمد، الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان، مجلة فكر ونقد، المغرب، عدد ٢٠٠٤.

ويرى بيرلمان وزميله تيتيكا أن كل دراسة لمجموع الحجاج لابد أن تأخذ بعين الاعتبار أن الاستعارة والتمثيل من عناصر الحجة، ودور الاستعارة في نظرهما يمكن أن يتضح بشكل أفضل في علاقة بالنظرية الحجاجية للتمثيل، وينتهيان إلى أن التمثيلات تلعب دورا مهما في الابتكار وفي الحجاج وبالضبط بسبب ما تسمح به من تطورات وامتدادات (۱).

وفي الدراسات العربية الحديثة لحجاجية الاستعارة، نجد العزاوي يربط بين الاستعارة والسلم الحجاجي، وتُعدُّ الأقوال الاستعارية أعلى وأقوى حجاجياً من الأقوال العادية، فالاستعارة الحجاجية عنده تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية... وهي النوع الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، في مقابل الاستعارة الحجاجية نجد الاستعارة البديعية، وهي التي تقصد لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم وأهدافهم، وإنما نجد هذا النوع من الاستعارة عند الأدباء الذين يهدفون من ورائها إلى إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا هو سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي، وليس سياق التواصل والتخاطب (٢).

ومن كل هذا نجد أن الاستعارة تعد وسيلة هامة من وسائل التأثير والحجاج، لما لها من قدرة في التصوير، وقيامها على التناسب مع مقتضيات السياق، فهي تعد من أبلغ الصور وأقوى الآليات البلاغية تعبيراً عن الواقع، وهذا ما جعلها أداة بلاغية حجاجية قوية ووسيلة لغوية يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية (٣).

هذا الدور الفعال للاستعارة جعل كل من يدرسها يجعلها من الوسائل الحجاجية القوية، لما لها من قدرة على استمالة المتلقي وإقناعه، فقد أصبحت مقوماً حجاجياً لا غنى عنه، وهذا ما نراه جلياً في أسلوب النبي – صلى الله عليه وسلم- في استخدامه للاستعارة.

<sup>(</sup>۱) المودن، حسن، حجاجية المجاز و الاستعارة، مرجع سابق، ص١٧٠ و ١٧١.

<sup>(</sup>٢) ينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص١٠٠-١٠٩.

<sup>(</sup>٣) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٤٩٦ و٤٩٧.

وفيما يلي أمثلة عن الاستعارة الحجاجية متجلية في الأحاديث الأربعين النووية:

## الحديث الثامن والعشرون:

عن أبي نجيح العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجلّ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار". (رواه أبو داود (۱). والترمذي (۲).

فنرى في قوله - صلى الله عليه وسلم-: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)، فكلمة النواجذ تدل على الأضراس<sup>(٣)</sup>. واستعيرت كلمة (عضوا) لتدل على الإطباق الكامل للأسنان وبذلك لتوضيح الصورة للمتلقين قال: عضوا لتدل على الشدة والقوة في التمسك بكتاب الله وسنة نبيه والخلفاء الراشدين والأخذ بها دون غيرها، وعدم اتباع أهل الأهواء والبدع، فيحث على ترك اتباع الكفار وتطبيق سنة الحبيب المختار.

# ومن ذلك أيضاً:

#### الحديث السادس والثلاثون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من نفس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم

<sup>(</sup>۱) السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، حديث رقم(٤٦٠٧).

<sup>(</sup>۲) سنن الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم (۲٦٧٦).

<sup>(</sup>٢) المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٩٠٢. (نجذ)

في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه". (رواه مسلم بهذا اللفظ)(١).

فنرى في قوله - صلى الله عليه وسلم-: (وغشيتهم الرحمة) أي غطتهم وشملتهم، ولكن الفعل غطى هو فعل حسي، فالرحمة أصبحت هنا كالغطاء الذي يكتنفهم من جميع الجهات، فاختيار الغشاء هنا تدل على صب رحمة الله عليهم، ورفع مكانتهم لجلوسهم في هذه المجالس الطيبة.

# ومن ذلك أيضاً:

#### الحديث التاسع والعشرون:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حتى بلغ (يَعْمَلُونَ)(٢). ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، وقال: كف عليك هذا، قالت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ثكاتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم". (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)(٢).

فنرى في قوله - صلى الله عليه وسلم-: ( رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)، فكلمة رأس تدل على العلو وهي مستعارة وأن الإسلام هو رأس الديانات، فإذا لم

<sup>(</sup>۱) صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم (۲۹۹).

<sup>(</sup>۲) سورة السجدة الآيات (۱٦- ١٩).

<sup>(</sup>٣) سنن الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم(٢٦١٦).

يكن للجسم رأس فهو ميت، فالدين المقبول عند الله هو الإسلام، إذ يعلو و لا يعلى عليه. والصلاة عمود الدين وعمود هنا مستعارة أي ما يبنى عليه مثل عمود البيت، وأعمدة البناية، فإذا لم يكن عمود يقام عليه فلا يوجد بناء قائم في عرف البشرية، ولذلك من أقام الصلاة أقام الدين، ومن تركها ترك الدين، ومن صلحت صلاته صلحت حياته. وذروة سنامه والسنام ما علا من الجمل (۱). والجمل راحلة فشبه الإسلام بالراحلة التي تذهب وتطوف البلاد وبالإبل خاصة لما لها خواص خاصة على الترحال والصبر، فجعل أعلى شيء في الإسلام المتحرك هو الجهاد، حتى يدخل الناس في رحمة الله، فشبه الجهاد بالسنام لأنه ظاهر مميز عن بقية الأعضاء، وكذلك الإسلام تميز بالجهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ودخول الناس إليه.

ومن خلال الأمثلة السابقة تظهر أهمية الاستعارة في الكلام، وحجاجيتها وفضلها في إبراز المعاني والكشف عنها، وقيمتها وبلاغتها في الإقناع، وقد حاول عبد القاهر الجرجاني أن يجمع الأغراض التي تحققها الاستعارة المفيدة قائلا: "من الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ...فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرسة مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية.. إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون "(٢).

والتأكيد على جمال الشيء واقترانه مع الإقناع إنما يكون، بتزيين المعنى مما يجعله أكثر إقناعاً في المتلقي.

#### ٣. الكناية:

وهي من كنى تدل على عدول عن لفظ إلى آخر يدل عليه، قال الخليل: كنى فلان عن الكلمة المستفحشة يكنى: إذا تكلم بغيرها مما يستدل به عليها نحو الجماع والرفث والغائط ونحوه (٣).

<sup>(</sup>۱) المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٥٥٥ (سنم)

<sup>(</sup>٢) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص١٣٦ و١٣٧.

<sup>(</sup>۲) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ج٤، ص٥٥. مادة (كني)

وقال ابن فارس يقال: "كنيت عن كذا بكذا إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه"(١).

قال ابن منظور: "والكناية أن تتكلم بشيء وتريد به غيره، وكنى عن الأمر بغيره، يكني كناية، يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه، نحو الرفث والغائط ونحو هما"(٢).

وعرف السكاكي الكناية: "بأنها ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك(7).

أما ابن الأثير، فقد أورد عدة تعريفات للكناية ورجح: أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز (أ). ويقرب منه تعريف القزويني لها بقوله: "الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ"(٥).

فالتشبيه والكناية والاستعارة وغيرها من وجوه البيان هي من مسالك الاستدلال والحجاج، كما يتضح، أن الجملة المجازية تدعي دعوة، وتثبت أو تنفي أمراً، ووظيفتها بالتالي لا يمكن أن تكون إلا استدلالية حجاجية، وبالمقابل فالاستدلال "ليس عملية عقلية استنباطية محضة، بل عملية خطابية، لذلك قد لا يخرج الاستدلال عن دائرة التشبيه والاستعارة، وبشكل أعم عن دائرة المجاز "(٦).

ويؤكد السكاكي على أن الاستدلال البياني أو المجازي أكثر تأثيراً من غيره، فإن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر (٧).

<sup>(</sup>۱) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ۱۹۷۹م، ج٥، ص١٣٩. مادة (كنو)

<sup>(</sup>٢) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (كنى)، مرجع سابق، ج١٥، ص٢٣٣.

<sup>(</sup>٢) السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص٢٠٢.

<sup>(</sup>ئ) ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ج٣، ص٥٠ و ٥١.

<sup>(°)</sup> القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص٢٤١.

<sup>(</sup>٦) أعراب، الحبيب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، مرجع سابق، ص٦٢.

<sup>(</sup>V) السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص١١٦.

ولم يفرق العلماء الأوائل بين مصطلحي الكناية والتعريض، فقد استخدموهما متداخلين دون فصل بينهما منهم أبو هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني حيث جعلاهما مصطلحاً واحداً لا فرق بينهما.

وفيما يلي أمثلة عن الكناية متجلية في الأحاديث الأربعين النووية:

#### الحديث الثاني:

عن عمر - رضي الله عنه - أيضاً قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، ثما المائق. فلبثت ملياً، ثم قال: "ياعمر أ تدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". (رواه مسلم)(۱).

فنرى في قوله - صلى الله عليه وسلم-: (شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر) مجموعة من الكنايات التي تدل على معنى عميق، فشديد بياض الثياب كناية عن النظافة والبهاء والطهارة، فعبر بذلك لأنه يعرف من هو، ويوصل هذا الأمر إلى الصحابة الكرام، وشديد سواد الشعر كناية عن الشباب والنظارة، وهاتان الكنايتان مقدمة لتوضيح أنه ليس مسافراً، بل

صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم $(\Lambda)$ .

أتى من قريب، فحال المسافر ليس في ثيابه شدة النظافة، ولا يهتم بشعره كما المقيم، وبذلك نرى هاتين الكنايتين مقدمة للإقناع بما جاء به بعد ذلك. وتظهر كناية أخرى وهي (ترى الحفاة العراة العالة)، فهو يكني عن الفقر الشديد، فقد جاء بصفات الفقر لتدل عليه، وإثبات هذا المنظر في العقول، فهو ابلغ من التصريح فيه.

#### الحديث الثامن والثلاثون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته في الحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه". (رواه البخاري)(١).

فنرى في قوله - صلى الله عليه وسلم-: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) فهذه الكنايات تدل على معية الله سبحانه، فهؤلاء حققوا شرط الولاية، فخصهم الله بالمعية والنصرة، وتكفل بحفظهم في جوارحهم عن المحرمات.

#### الحديث الثاني والأربعون:

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتتي ورجوتتي غفرت لك على ما كان منك و لا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتتي غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتتي بقراب الأرض خطايا ثم لقيتتي لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة". (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح)(7).

<sup>(</sup>۱) صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم(۲٥٠٢).

سنن الترمذي، مرجع سابق، حدیث رقم $(^{(7)})$ .

فنرى في قوله - صلى الله عليه وسلم-): بقراب الأرض) وهذه كناية عن الكثرة، وأن الله يغفر الذنوب بالاستغفار ولو كثرت، فالنبي - صلى الله عليه وسلم- يورد هذه الكناية ترغيباً للعاصي أن يتوب، وللمذنب أن يستغفر، ويثبت أن من يغفر هو الله سبحانه، وأن ذنوب الإنسان مهما كثرت لا تنفع و لا تضر الله سبحانه، بل هو الرحيم الغفور.

لقد أسهمت الكناية في بناء الأحاديث الأربعين النووية، وتنوعت مظاهرها، فقد كان لها الأثر الواضح القائم على دقة استعمال اللفظ، مما زاد من تأثيرها في نفس المتلقي، وقد شكلت الكناية لدى الرسول – صلى الله عليه وسلم – نمطا مميزاً؛ لإحاطة تعبيره بالإقناع وإبراز المعنى وتقديمه في أحسن صورة حجاجية، وإيصاله بطرح سهل ميسر، يهدف إلى ترسيخ القيم الإسلامية القيمة، ونشر الدين الحنيف.

# المبحث الثالث: الوسائل المنطقية.

نعني بالوسائل المنطقية الآليات والتقنيات العقلية التي تؤسس بنية الحجاج في الخطاب أي "جملة الأساليب التي تعتمد قوانين المنطق<sup>(۱)</sup>. والتي تهدف في الخطاب إلى إقناع المتلقي بما طُرح عليه من أفكار.

وأبرز هذه الأصناف: حجج شبه منطقية، وحجج قائمة على بنية الواقع، وحجج مؤسسة لبنية الواقع (٢).

# ١. الحجج شبه المنطقية:

يوضح بيرلمان هذه الحجج بقوله: "أنها حجج تدعي قدراً محدداً من اليقين من جهة أنها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية، ومع ذلك فإن من يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات بين هذه الحجج والبراهين الشكلية(٣).

فهي حجج لا تخضع للاستدلال المنطقي الصارم ولكنها تقترب منه قالباً منطقياً شكلياً لذا فهي تستمد قوتها الإقناعية من مشابهاتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة (٤).

## ٢. الحجج القائمة على بنية الواقع:

يعتمد هذا النوع من الحجج على الواقع والتجربة "وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكونة للعالم، فالحجاج هنا ما عاد افتراضاً وتضميناً بل أصبح تفسيراً وتوضيحاً، تفسيراً للأحداث والوقائع وتوضيحاً للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشيائه، فالمتكلم متى اعتمد هذا الصنف من الحجج إنما يذهب في الواقع إلى أن الأطروحة التي يعرضها تبدو أكثر إقناعاً كلما اعتمدت أكثر على

<sup>(</sup>۱) ينظر: الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن ٤هـ، مرجع سابق، ص١٩١.

ينظر: صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص $^{(7)}$ 

<sup>(</sup>۲) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن ٤هــ، مرجع سابق، ص١٩١ و١٩٢.

<sup>(&</sup>lt;sup>٤)</sup> صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص٣٢٥.

تفسير الوقائع والأحداث، وأن الخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فهه"(١).

وهذا يعني أن هذه الحجة تنطلق من الواقع المعروف عند المتلقي لتعرض الفكرة لقبولها، "فالمتلقي يقبل فعلياً المنطلق الذي يرتكز إليه الحجاج وذلك لكي يتم الانتقال مما هو متفق عليه إلى ما يراد القبول به"(۲).

وسنتطرق في التحليل إلى النوع الثالث:

## ٣. الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

ونعني بها التي ترتبط بالواقع ارتباطاً وثيقاً، تجلي الخفي من علاقاته وعناصره، ومن هذه الحجج القياس بأنواعه، وتأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة. ويعد القياس من أهم الوسائل المنطقية؛ لأنه يربط محتوى النتيجة بمحتوى المقدمات.

أ- القياس: يعد القياس آلية من الآليات الذهنية للعقل البشري "تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما، للوصول إلى استنتاج ما بالألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك"<sup>(٦)</sup>. وهو "أحد الطرق للاستدلال غير المباشر وأقومها إنتاجا في الربط بين عناصر الخطاب الحجاجي"<sup>(١)</sup>. أي الربط بين المقدمة والنتيجة بشكل منطقي.

وللقياس عدة صور: هي القياس المنطقي المتكامل الأركان، والقياس المضمر، والقياس المتدرّج.

<sup>(</sup>١) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن ٤هـ، مرجع سابق، ص٢١٤.

<sup>(</sup>۲) بروتون، فیلیب، و جوتبیه، جیل، تاریخ نظریات الحجاج، ترجمة: محمد صالح الغامدي، مرکز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزیز، السعودیة، ط ۱، ۲۰۱۱م، ص۲۰.

<sup>(</sup>٢) عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص٩١٠.

<sup>(&</sup>lt;sup>3)</sup> الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق سوريا، ط ٤، ١٩٩٣م، ص٢٢٧.

1. القياس المنطقي المتكامل الأركان: وهو "صيغة شكلية لإثبات حقائق سبق العلم بها ولكن حصلت الغفلة عن جوانب منها، فيأتي القياس المنطقي منبها عليها، أو ملزماً الخصم بالتسليم بها إذا هو أنكرها"(۱). وتكمن وظيفة القياس المنطقي في الحجاج في "الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب، أي المقدمة الكبرى إلى ما هو مشكل، أي النتيجة"(۲).

إن هذا الانتقال من المقدمة الكبرى إلى الصغرى ونتيجة، من شأنه جذب الانتباه للسامع والتأثير فيه، من خلال تتشيط فكره وعقله لاستنباط النتائج، من خلال ربط المقدمة بالنتيجة.

## ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

## الحديث الأول:

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه". (رواه إماما المحدّثين: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بر دزبه البخاري الجعفي، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة)(٢).

المقدمة الكبرى: (إنما الأعمال بالنيات) أي كل الأعمال بالنيات.

المقدمة الصغرى: (وإنما لكل امرئ ما نوى) أي كل إنسان ونيته.

النتيجة: (يجازى كل إنسان على أعماله بحسب نيته).

فنرى هنا أن قوله هذا فيه تأثير في نفس المتلقي وتحذيراً مبطناً من النية السيئة، وبذلك يصبح كل إنسان مرهونا بنيته ويعطى عليها.

<sup>(</sup>١) الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، مرجع سابق، ص٢٢٧.

<sup>(</sup>٢) العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، مرجع سابق، ص٥٧.

<sup>(</sup>۲) متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم (۱۹۰۷)، صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم (۱).

## ومنه أيضاً:

#### الحديث السابع عشر:

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح؛ وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته". (رواه مسلم)(١).

المقدمة الكبرى: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء).

المقدمة الصغرى: (إراحة الذبيحة من الإحسان).

النتيجة: (الله كتب الإحسان عند الذبح).

فنرى هنا أن قوله هذا فيه تأثير في نفس المتلقي يجعله يقتتع في السير في الإحسان في جميع أمور حياته، وليس فقط عند الذبح، بل يكون منهجاً ينظم مقتضيات حياته كلها.

ومع هذا الاستعمال يبرز قدرة النبي - صلى الله عليه وسلم-، على استخدام الأساليب المتنوعة لتصل الرسالة بكل يسر وسهولة، محفزاً العقول على التفكر وربط الأمور ببعضها.

۲. القياس المضمر: وهو نوع من أنواع القياس المنطقي ومعياره أنه قياس محذوف المقدمة (۲).

أي قد يصبح حذفاً في المقدمة الكبرى والنتيجة، أو المقدمة الصغرى والنتيجة.

ومن ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم-: الحديث الثاني عشر: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه". (حديث حسن رواه الترمذي) $^{(7)}$ .

<sup>(</sup>۱) صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم (۱۹۵۵).

<sup>(</sup>٢) العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، مرجع سابق، ص٥٨.

<sup>(</sup>٣) سنن الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم (٢٣١٨).

المقدمة الكبرى (مضمرة): يحث الإسلام على الاهتمام بشؤون الآخرين.

المقدمة الصغرى (مضمرة): الاهتمام بالآخرين لا يعني التدخل في خصوصياتهم.

النتيجة (مذكورة): من حسن الإسلام في المرء عدم التدخل بخصوصيات الآخرين.

ومنه أيضاً: الحديث العشرون: عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت". (رواه البخاري)(١).

المقدمة الكبرى (مضمرة): الحياء من الإيمان.

المقدمة الصغرى (مذكورة): الحياء يمنع المعاصى.

النتيجة (مضمرة): المؤمن لا يرتكب المعاصي.

نلاحظ أن المقدمة الكبرى غالباً هي المضمرة، فيكون هنالك الاستنباط والاستنتاج، مما يجعل المتلقي دائماً متيقظاً ومتوجهاً إلى ما يقال، بحيث يصبح عنده ربط بين ما هو مذكور ليصل إلى ما هو مضمر، ضمن معتقداته و أفكاره مقتنعاً به.

**٣. القياس المتدرج:** وهو نوع معقد من أنواع القياس، إذ يُعدُّ امتداداً للتعليل القائم على القياس المنطقي، حيث يبنى على عدد من القياسات المنطقية المترابطة، فتكون النتيجة هي نفسها مقدمة كبرى لنتيجة أخرى، وهكذا حتى تصل إلى النتيجة الكبرى<sup>(۲)</sup>.

ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

الحديث الثامن والثلاثون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "إن الله تعالى قال: من عادى لى ولياً فقد آذنته في الحرب، وما تقرّب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته

<sup>(</sup>۱) صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم (۲۱۲۰).

<sup>(</sup>٢) العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، مرجع سابق، ص٥٩.

عليه، و لايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه". (رواه البخاري)(۱).

- من عادى لله ولياً آذنه بالحرب.
- الأولياء هم من يتقربون إلى الله بالعبادة.
- العبادة طريق موصل لرضوان الله ومحبته.
- رضوان الله ومحبته سبب لحفظ الله ومعيته.

فنجد هاتين المقدمتين (من عادى لله ولياً آذنه بالحرب و الأولياء هم من يتقربون إلى الله بالعبادة) أوصلتنا إلى نتيجة أولية وهي (العبادة طريق موصل لرضوان الله ومحبته) وهي تمثل بدورها مقدمة لنتيجة أخرى وهي (رضوان الله ومحبته سبب لحفظ الله ومعيته).

# ومنه أيضاً:

## الحديث الحادي والثلاثون:

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله دلّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: "از هد في الدنيا يحبك الله، واز هد فيما عند الناس يحبك الناس". (حديث حسن، رواه ابن ماجه) $^{(7)}$ .

- الله يحب العبد الذي يزهد بالدنيا.
- الذي يزهد بالدنيا يزهد بالذي عند الناس.
  - من يزهد بما عند الناس يحبه الله.
    - من يحبه الله يحبه الناس.

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم (٦٥٠٢).

<sup>(</sup>۲) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، ج٢، حديث رقم(٢٠٠٤).

فنجد هاتين المقدمتين (الله يحب العبد الذي يزهد بالدنيا، والذي يزهد بالدنيا يزهد بالذي عند الناس)، أوصلتنا إلى نتيجة أولية وهي (من يزهد بما عند الناس يحبه الله)، وهي تمثل بدورها مقدمة لنتيجة أخرى وهي (من يحبه الله يحبه الناس).

فنلاحظ أن القياس المتدرج عبارة عن عدة قياسات مترابطة، هدفها إقناع المتلقي عن طريق عرض كل خطوة ليصل إلى النتيجة، ويشير وليم برانت" إلى أن القياس المتدرج مهم جداً للحجاج وذلك أنه يسمح للكاتب بطرح خطوات واضحة تطبع حجاجه بطابع الهدوء، ولكنه الهدوء الذي لا يصل إلى الحركة البطيئة جداً، والتي تضيّع على القارئ انتباهه..."(١).

ولكن نرى أن هذه الملحوظة تنطبق على جميع أنواع القياس المذكورة، فهي كلها تتطلب الهدوء والتركيز للوصول إلى النتيجة، من خلال ضرب الأمثال والصور والشواهد والخبرات من الحياة الواقعية.

ويدل استخدام النبي - صلى الله عليه وسلم - للقياس على احترامه للعقل البشري، فهو يتوجهه إلى متلق متميز ذي عقلية فذة واعية مدركة، فكانت وسيلة ناجعة للإقناع، توحي بالهدوء والاطمئنان؛ لسلوكها طريقة منطقية في العرض والتقديم، ليفهمها المخاطب ويستنتج المراد، كما أرادها واضعها، موضحاً أن الاهتمام بالشكل مطلوب، ولكن دون إهمال دور العقل في صنع الإقناع.

## تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

في بعض الأحيان يتم الاستدلال " بناء على المثال المفرد المعزول الذي يعتمد لتعميم حكم ما أو فكرة معينة، فيتأسس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها، بحيث تصبح حالة عامة لا مجرد حالة خاصة ثم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها"(٢). ومنها النموذج (القدوة) والشاهد.

<sup>(</sup>۱) العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، مرجع سابق، ص ۲۰ و ۲۱.

<sup>(</sup>٢) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن ٤هـ، مرجع سابق، ص٢٤٣.

1. النموذج (القدوة): ومداره على كائن نموذج يصلح على صعيد السلوك لتأسيس قاعدة على علمة أو دعمها فحسب وإنما يصلح كذلك للحض على عمل ما اقتداء به ومحاكاة له ونسجاً على منواله(۱). وليس أي فعل أهلا لكي يحتذى، إننا لا نحتذي إلا بمن نعجب بهم، أولئك الذين يمتلكون السلطة أو الشهرة الاجتماعية التي تعود إلى كفاءتهم أو إلى وظائفهم أو إلى المرتبة التي يحتلونها في المجتمع(۱).

من هنا يتضم الأمر جلياً في الدور الذي يلعبه النموذج(القدوة)، في إقناع المتلقي بتوجيهه إلى سلوك معين، وإيصاله إلى موقف محدد، فيجدر به أن يختار الأصلح للقيادة، والأجدر بالتقليد والسير على نهجه وهديه.

ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

## الحديث الثامن والعشرون:

عن أبي نجيح العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قال: وعظنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال: "أوصيكم بتقوى الله عز وجلّ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ". (رواه أبو داود ("). والترمذي (على حديث حسن صحيح).

فهنا النبي - صلى الله عليه وسلم- يوجه الصحابة وكل متلق لهذا الحديث، باتباع سنته وهديه كونه هو النموذج الأسمى والأعلى في كل شيء، فلقد وصل إلى قمة الكمال الإنساني، ويحذر في

<sup>(</sup>۱) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١م، ص٥٥.

<sup>(&</sup>lt;sup>۲)</sup> تجاني، أمينة، الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني ــ دراسة في وسائل الإقناع، مرجع سابق، ص٦٣.

<sup>(</sup>۲) سنن أبي داود، مرجع سابق، حديث رقم (٤٦٠٧).

<sup>(</sup>٤) سنن الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم (٢٦٧٦).

الوقت نفسه من اتباع سنن الغير، ولهذا نجد صفة الإقناع حاضرة في شخصيته الكاملة، إذ يعد النموذج الذي يحتذى به.

۲. الشاهد: هو حسب الجاحظ "استشهاد على شيء ما بقرآن أو حديث أو شعر أو مثل أو خبر مروي بهدف إثباته أو إنكاره أو الاحتجاج له أو بطلانه أو نحو ذلك(١).

فهو من دعامات الحجاج القوية إذ يضعها المخاطب في الموضع المناسب، وهنا تبدأ براعته في توظيفها بحسب ما يتطلبه السياق، وتسهم هذه الآلية في رفع ذات المخاطب إلى درجة أعلى، وبالتالي منحه قوة سلطوية في الخطاب، وله قدرة على التأثير والإقناع كما يقول (رولان بارت): "إن الشاهد ينتج إقناعا أعذب وهو محبوب لدى العوام"(٢).

## ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

#### الحديث العاشر:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله تعلى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: (يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إنِّي بمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) (٣).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (٤). ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟". (رواه مسلم) (٥).

<sup>(</sup>۱) عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص٩٧.

<sup>(</sup>٢) تجاني، أمينة، الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني ــ دراسة في وسائل الإقناع، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص٦٤.

<sup>(&</sup>lt;sup>۳)</sup> سورة المؤمنون الآية (٥١).

<sup>(</sup>٤) سورة البقرة الآية (١٧٢).

<sup>(</sup>٥) صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم (١٠١٥).

فيستشهد النبي - صلى الله عليه وسلم- على أن الله لا يقبل إلا طيباً بآيات من القرآن الكريم، وهذا من شأنه يقوي الحجة، وترغيباً به، وإقناعاً للمتلقين، ومع اجتماع أسباب إجابة الدعاء، لا يقبله الله إلا إذ كان طيباً، وقس على ذلك سائر الأمور.

ومنه أيضاً: الحديث التاسع والعشرون: عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قات يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حتى بلغ (يَعْمَلُونَ) (۱). ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: ألا أخبرك بولس الأمر وعموده أله قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، وقال: كفّ عليك هذا، قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم". (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح) (٢).

نلاحظ ترغيبه - صلى الله عليه وسلم - بأعمال الخير حتى وصل إلى صلاة الرجل في جوف الليل، وهذا يدل على الإخلاص في العمل إذ لا يراه إلا الله، فيورد شاهداً من كتاب الله دعماً لفكرته، ورفعاً من قيمة أصحاب هذه الصفة، وذكر الله لهم في كتابه دليلاً على ذلك.

فنرى كيف تسهم هذه الآلية في رفع مستوى المخاطب إلى أعلى درجة بحيث يكون عنده قوة في عرض فكرته والوصول للمراد بتوظيفه على حسب ما يقتضيه السياق.

<sup>(</sup>۱) سورة السجدة الآيات (۱٦- ١٩).

<sup>(</sup>٢) سنن الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم (٢٦١٦).

# الفصل الثالث آليات الحجاج في الأحاديث الأربعين النووية وأثرها في الإقناع

- المبحث الأول: روابط الحجاج.
- المبحث الثاني: عوامل الحجاج وموجهاته.

# الفصل الثالث

# آليات الحجاج في الأحاديث الأربعين النووية وأثرها في الإقناع

## المبحث الأول: روابط الحجاج.

إذا كانت للغة وظيفة حجاجية فقط اشتمات على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي يمكن تعريفها بالإحالة على قيمتها الحجاجية، والروابط الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها، وتحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، بحيث يمكن أن نذكر منها ما يأتي: (بل، ولكن، وإذن، ولا سيما، وحتى، ولأن، وبما أن، وإذا، والواو، والفاء)(١). وتكمن قيمتها الحجاجية في أنها تضطلع بدورين: الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجاتها كون هذه القضايا حججاً في الخطاب(٢).

### معايير الرابط الحجاجى:

- معيار عدد المتغيرات: يربط الرابط الحجاجي بين المتغيرات الحجاجية، فيكون محمولاً ذا موقعين حجاجيين، حيث يتوسط الرابط الحجاجي متغيرين حجاجيين، ومثاله: الجو ممطر إذن سأبقى في المنزل، أو ذا ثلاثة مواقع، حيث يتوسط الرابط الحجاجي ثلاثة متغيرات حجاجية، ومثاله: ساءت أحوال عمار، أصبح يدخن ويشرب الخمر، وصار من مدمني المخدرات.
- معيار وظيفة الرابط: يحدد هذا المعيار وظيفتين للرابط الحجاجي، فهناك فئة الروابط التي وظيفتها سوق الحجج، من هذه الروابط) حتى، وبل، ولكن، ومع ذلك، و لأن)، وفئة أخرى وظيفتها سوق النتيجة، من هذه الروابط (إذا، وإذن، ولهذا، وبالتالي)(٣).

<sup>(</sup>١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص٢٦.

<sup>(</sup>٢) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٥٠٨.

<sup>(</sup>۲) الراضي، رشيد، الحجاجيات اللسانية، مقال ضمن كتاب: الحجاج؛ مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ص١٠٢/١٠١.

معيار العلاقة بين الحجج التي يسوقها الرابط: وهذا المعيار يحدد فئتين من الروابط حسب اتجاهها الحجاجي، الأولى تكون حججها متساندة أو متساوقة، وتسمى حجج التساوق الحجاجي، ومنها (حتى، ولا سيما)، والثانية تكون حججها متعاندة أو متعارضة، وتسمى روابط التعارض الحجاجي، ومنها (بل، ولكن، ومع ذلك) وهناك روابط تصنف حسب قوتها الحجاجية، فمنها الروابط المدرجة للحجج القوية وهي)حتى، وبل، ولكن، ولاسيما)، وأخرى مدرجة للحجج الضعيفة (۱).

وسأحاول أن أرصد بعض هذه الروابط الحجاجية في الأحاديث الأربعين النووية وأدرس وظيفتها وقيمتها الحجاجية.

## الرابط الحجاجي: (الواو):

تعد الواو من أهم الروابط الحجاجية فهي لا تقتصر على الجمع بين الشيئين، بل تعمل على تقوية الحجج بعضها ببعض، لتحقيق الهدف المرجو.

## ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

### الحديث الثالث:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: "بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". (رواه البخاري ومسلم)(٢).

فهنا يذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – بنيان الإسلام ولا يتحقق هذا البناء الإسلامي إلا بهذه الأركان، فجاء بالواو ليربط بينها ليدل على قيمتها مجتمعة، فلا فائدة من إنكار أحدها، فجمع بينها كحجج مرتبة لتحقيق الهدف المرجو؛ وهو إقامة الدين، والفوز، والفلاح في الدنيا والآخرة.

<sup>(</sup>١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص٣٠.

متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم (17)، صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم  $(\Lambda)$ .

## ومنه أيضاً:

### الحديث الرابع عشر:

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة". (رواه البخاري ومسلم)(۱).

فهنا يذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – حرمة دم المسلم، ويبين الحالات التي يحل فيها، فجاء بالواو ليربط بينها ليدل على حكمها مجتمعة، فجمع بينها كحجج مرتبة لتحقق الهدف المرجو؛ وهو تحريم دم المسلم والعبث بأرواحهم.

## الرابط الحجاجي: (حتى):

من أدوات السلم الحجاجي نظراً لدورها في ترتيب منزلة العناصر، ولما لمعانيها واستعمالاتها من سلمية، فأولها هو (حتى الجارة) التي تعني انتهاء الغاية، على أن يراعي المرسل تحقق شروط مجرورها في التركيب<sup>(۲)</sup>.

وهي: "الأول أن يكون ظاهراً في الغالب، والثاني: أن يكون آخر جزء، أو ملاق لآخر جزء، وأن يكون المجرور بها داخلاً فيما قبلها على الغالب، وأن يكون الانتهاء به أو عنده، وثاني استعمالاتها ما يعرف بـ (حتى العاطفة)، ويراعي: المرسل هنا شروط المعطوف، وهو شرطان الأول: أن يكون بعض ما قبلها أو كبعضه، والثاني: أن يكون غاية لما قبلها في زيادة، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص بشمل الضعف والتحقير "(٢).

<sup>(</sup>۱) متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم(۱۲۷۱)، صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم(۱۸۷۸).

<sup>(</sup>٢) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٥١٧.

<sup>(</sup>۲) المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م، ص٥٤٢-٥٤٨.

### ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

#### الحديث الرابع:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: حدّثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكَثب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحد كم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل البخاري ومسلم)(١).

فنرى استخدام النبي – صلى الله عليه وسلم – لهذه الأداة في قوله (إن أحد كم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) فهنا دل على النهاية للإنسان فيؤكد تلك النهاية وأن الإنسان لا يغتر بعمله بل يكون دائما راجياً الله، ومن يغتر بعمله سيكون مصيره إلى النار مع اقترابه منها، فالحجة هنا العمل الصالح، ولكن بسبب نهاية أعماله بالسوء دخل النار وهي الحجة الأقوى. أما الاستخدام الآخر وهو مثيل السابق بقوله: (و إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) فالحجة هنا عمل السوء فيظن الإنسان أن ذنوبه أهلكته، ولكن الحجة الأقوى إذا رجع إلى الله وغفر له وأدخله الجنة، فيجعل في استخدام الرابط قوة للدلالة على أن باب التوبة والإنابة مفتوح، فالحجة التي جاءت بعد (حتى) هي الحجة الأقوى.

ولقد أقر (ديكرو وأنسكومبر) بأن "الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإن القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي(٢).

<sup>(</sup>۱) متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم(۲٦٤٣)، صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم(۲۲۰۸).

<sup>(</sup>٢) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص٧٣.

### الرابط الحجاجي: (الفاء):

تعد الفاء من الروابط الحجاجية فهي لا تقتصر على الترتيب، بل تعمل على تقوية الحجج بعضها ببعض، لتحقيق الهدف المرجو، و"الفاء" من الروابط الحجاجية التي تكثر في الأحاديث الأربعين النووية وسأكتفى بدراسة بعض الأمثلة.

ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

### الحديث الثامن والعشرون:

عن أبي نجيح العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجلّ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ". (رواه أبو داود (۱). والترمذي وقال حديث حسن صحيح)

فنلاحظ في قوله (فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة) قد ربط بين متغيرات حجاجية، وهو طلب النبي – صلى الله عليه وسلم – بالمحافظة عليها وعدم التهاون بها وضياعها، وأن الإنسان يتواضع لله مع الابتلاء، فطريق النجاة عندئذ التمسك بسنته وهديه، وهدي الخلفاء الراشدين، فجاءت الفاء لتربط بين السبب وهو النجاة من النار، وبين سبب دخولها البعد عن سنته وهديه، فيبلغ بذلك النتيجة المرجوة ونيل رضا الله ودخول جنته.

## الحديث الثلاثون:

عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: " إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا

<sup>(</sup>۱) سنن أبي داود، مرجع سابق، حديث رقم(٢٦٠٧).

سنن الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم (777).

تتتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها". (حديث حسن رواه الدار قطني (۱). وغيره (۲).

فنلاحظ في قوله (فلا تضيعوها، فلا تعتدوها، فلا تنتهكوها، فلا تبحثوا عنها) فالرابط الحجاجي (الفاء) قد ربط بين متغيرين حجاجيين، وهو طلب النبي – صلى الله عليه وسلم – بالمحافظة عليها وعدم التهاون بها وضياعها، وبين حدود الله والتعدي عليها وعن محرمات الله وانتهاكها، وعن السكوت عن الأشياء ليس نسياناً بل رحمة من الله بعباده، فهو يدعم النتيجة بعدة أوامر من شأنها جعل الإنسان مرضياً لله سبحانه، يفوز بالدنيا والآخرة إذا ابتعد عن المحظورات.

## ومنه أيضاً:

#### الحديث الرابع والثلاثون:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". (رواه مسلم)(٣).

فنلاحظ أن الفاء ربطت بين درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالتدريج لرفع الحرج عن الأمة لأن الناس ليسوا متساوين في الهمم، فمنهم من يستطيع بيده، ومنهم بلسانه، وأضعف إيماناً من ينكر بقلبه، ولكن لم ينف عنه الإيمان، فكلهم ذوو إيمان ولكن بدرجات، فهذا ترغيب منه بتغيير المنكر بالمستطاع. فنرى الوصول إلى النتيجة المرجوة وهو تغيير الباطل ليصبح حقاً. إن استخدام هذا الرابط لا يجعل بين السبب والنتيجة فاصلاً وفترة بل يجعلهما متلازمين.

### الرابط الحجاجي: (ثمّ)

وهي من الروابط الحجاجية التي تفيد الترتيب وتجعل الأول قبل الثاني مع مهلة بينهما، وقد استعملها النبي – صلى الله عليه وسلم – وهي من الروابط الحجاجية التي تكثر في الأحاديث الأربعين النووية وسأكتفى بدراسة بعض الأمثلة.

<sup>(</sup>١) سنن الدارقطني، مرجع سابق، حديث رقم (٤٣٩٣).

<sup>(</sup>٢) والحاكم في "مستدركه"، ج٤ برقم: (٧٢٠٧) والبيهقي في "سننه الكبير" ج١٠برقم: (١٩٧٨٦).

<sup>(</sup>٣) صحيح مسلم مرجع سابق، حديث رقم (٤٩).

## ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

### الحديث الرابع:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: حدّثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكَثب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحد كم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل البخاري ومسلم)(١).

فنلاحظ في قوله (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح) أن هنالك مدة زمنية مقدرة من الله تعالى بين أن يكون نطفة وعلقة وبين الإرسال لنفخ الروح، فلذلك نجد ثم حاضرة بين هذه المراحل لتجعل الحجة قوية في ترتيب خلق الإنسان، فلا يمكن بالعقل أن يأتي نفخ الروح قبل النطفة والعلقة، فتكون النطفة والعلقة تؤدي إلى نتيجة وهي نفخ الروح، وكتابة ماله وما عليه، فلم يقتصر دورها على الترتيب والمهلة فحسب بل جعلت من المطروح سبباً مقنعاً يوصل المتلقي إلى الاقتتاع بالنتيجة المرجوة بأسلوب سهل ميسر.

## ومنه أيضاً:

### الحديث العاشر:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله تعلى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: (يا أَيُّهَا النَّينَ الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إنِّي بمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) (٢). وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

<sup>(</sup>۱) متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم(۲٦٤٣)، صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم(۲۲۰۸).

<sup>(</sup>٢) سورة المؤمنون الآية (٥١).

آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ (۱). ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟" (رواه مسلم)(۱).

فنلاحظ الربط الذي قام به النبي – صلى الله عليه وسلم – بين ما يقبله الله سبحانه وهو الطيب، وبين ما هو سبب لإجابة الدعاء، فالنتيجة لو اجتمعت هذه الأسباب مع المأكل والمشرب والملبس وعدم المبالاة من أي مصدر جاءت، ولكن النتيجة المضمرة هي إذا الإنسان طيب مطعمه ومشربه وملبسه وانتبه من الحرام، وحرص على الحلال فهنالك يستجاب له. فربطت بين السبب والنتيجة ؛ لتصل بنا إلى نتيجة مضمرة وهي أسباب إجابة الدعاء.

## ومنه أيضاً:

#### الحديث الحادى والعشرون:

عن أبي عمرو، وقيل أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله قل أبي عمرة ولا لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: "قل آمنت بالله ثم استقم". (رواه مسلم)(").

فنلاحظ هذا الرابط جاء ليربط بين سبب الاستقامة، وهو الإيمان بالله، فلا تأتي استقامة دون اليمان، فتظهر لنا نتيجة الإيمان المرجوة، وهي الاستقامة على أو امر الله تعالى.

فلقد قام النبي - صلى الله عليه وسلم- بتوظيف هذه الروابط، التي ساعدت على تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج، مما جعلها مترابطة تضمن تلاحم أجزاء الكلام، وفي جلب فكر المتلقي إلى النتيجة.

<sup>(</sup>۱) سورة البقرة الآية (۱۷۲).

<sup>(</sup>۲) صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم (۱۰۱۵).

 $<sup>(^{7})</sup>$  المرجع السابق، حديث رقم  $(^{7})$ .

## المبحث الثاني: عوامل الحجاج وموجهاته.

ينبغي أن نميز بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالروابط تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر) وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة، أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة، أو بين مجموع الحجج)، بل تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون بقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل (ربما، وتقريبا، وكاد، وقليلاً، وكثيراً، وما، وإلا، وجُلُّ أدواتِ القصر)(١).

فالعامل الحجاجي يقوم على الاقتضاء، فلو قلنا إن مقتضى الملفوظ "كدت أن انجح" فهنا الاستجابة لم تحصل، فهذا الملفوظ يقتضي ذلك، ووجود العامل "كدت" يوضحه ويؤكده، أما عمله حجاجياً فإنه يتيح الربط بين أجزاء النص وبين الملفوظات داخل المقطع الواحد، فحسب التحليل الحجاجي "كدت أن أنجح" تسير في الاتجاه الذي "تؤدي إليه الحجة" نجحت ويخدمان نتيجة واحدة (٢).

(العامل الحجاجي): (ما... إلا، ولا.... إلا).

من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية، ذلك التركيب الذي يتضمن الأداتين (ما... إلا) في ترتيب الحجج في سُلَّم واحد، إذ أنَّ (ما... إلا) عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه (٢).

يقول أبو البقاء الكفوي: "والقصر في الاصطلاح جعلُ أحد طرفي النسبة في الكلام سواءً كانت إسنادية أو غيرها مخصوصا بالآخر بحيث لا يتجاوزه إما على الإطلاق أو بالإضافة بطرق معهودة"(٤).

ويوجه أسلوب القصر إلى ثلاثة أصناف من المخاطبين:

١. مخاطب يعتقد رأيا مخالفاً.

<sup>(</sup>١) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص٢٧.

<sup>(</sup>٢) العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مرجع سابق، ص٥٦ و٥٧٠.

<sup>(</sup>٢) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص١٨٥ و ٥١٩.

<sup>(&</sup>lt;sup>3)</sup> الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م، ص٢١٧و ٧١٧.

- ٢. مخاطب شاك في الرأي المقدم له.
- ٣. ومخاطب يعتقد الشركة بين اثنين أو أكثر في الحكم.
  - ويكون القصر بأربعة طرق:
    - ١. القصر بإنّما.
  - القصر بالنفى والاستثناء (لا...إلا، وما...إلا).
    - ٣. القصر بالعطف بالأدوات (لا، وبل، ولكن).
      - والقصر بتقديم ما حقه التأخير (١).

وسأحاول دراسة العوامل الحجاجية وعلاقتها بتقديم الحجة أو النتيجة، فللقصر طرفان: مقصور ومقصور عليه، فيكون القصر في الحجاج بمثابة تقديم التدعيم والنتيجة داخل أداة النفي نتيجة أداة الاستثناء فيكون تدعيم وحجة.

## ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

## الحديث الثاني:

عن عمر - رضي الله عنه - أيضاً قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت. قائب نم نكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم نكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، قال: فأخبرني عن

<sup>(</sup>۱) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، إربد، الأردن، ط٤، ١٩٩٧م، ص٦٤ و ٦٠.

أماراتها؟ قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، ثم انطلق. فلبثت ملياً، ثم قال: "ياعمر أ تدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". (رواه مسلم)(۱).

فنلاحظ في قوله: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله) استخدام (لا..... إلا) فيكون في الأول نفي، وفي الثاني اثبات للحقيقة القاطعة وهي وحدانية الله سبحانه وتعالى، فالحجة أنه لا إله، والنتيجة تأتي بعد إلا إله واحد هو الله، فهنا يدعم النبي – صلى الله عليه وسلم – قوله وتوجيه المتلقي بعد النفي إلى حقيقة لا جدال فيها.

## ومنه أيضاً:

### الحديث الثالث:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: "بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". (رواه البخاري ومسلم)(٢).

فنرى في قوله: (شهادة أن لا إله إلا الله) أيضاً استخدام هذا العامل للنفي والإثبات، فهو ينفي الحجة ليصل إلى النتيجة، فينفى وجود إله ويثبت أنه لا يوجد إله إلا الله سبحانه وتعالى.

ومنه أيضاً: الحديث الرابع عشر: عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة". (رواه البخاري ومسلم)(").

<sup>(</sup>۱) صحیح مسلم، مرجع سابق، حدیث رقم (۸).

متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم (17)، صحیح البخاری، مرجع سابق، حدیث رقم  $(\Lambda)$ .

<sup>(</sup>۲) متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم(۱۲۷۱)، صحیح البخاری، مرجع سابق، حدیث رقم(۱۸۷۸).

فنرى استخدام العامل هنا لتأكيد حرمة دم المسلم بشكل عام، ثم تأتي (إلا) ليبين فيها أصناف يحل فيه الدم، فهذا من شأنه أن يشد انتباه المتلقي إلى حكم مهم فهنا نرى الحجة تأتي بتحريم دم المسلم، وتأتي (إلا) لتبين النتيجة والاستثناء من ذلك التحريم.

فنلاحظ هذا التدعيم المعتمد على هذا العامل يأخذ مرتبة الحقيقة القاطعة، الذي لا يرد فيجعل المتلقي حاضر الذهن ليصل من خلال التدعيم إلى النتيجة المقصودة، دون النظر إلى احتمالات أخرى، وبخاصة وروده بعد أداة الاستثناء.

أما عن استخدام (ما.....إلا) فمن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

## الحديث الرابع:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: حدّثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكَتْب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحد كم ليعمل بعمل أهل النار فيدخلها، أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها". (رواه البخاري ومسلم)(۱).

فنرى في قوله: (فوالله الذي لا إله غيره إنّ أحد كم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) أن استخدامه (ما....إلا) جاء ليؤكد أنّ الأعمال بخواتيمها، وأن الإنسان لابد له من الخوف من الله والرجاء، دون الاغترار بالعمل والاستهزاء بالناس وأعمالهم، فيعرض الحجة وهي قرب المسافة،

<sup>(</sup>۱) متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم(۲٦٤٣)، صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم(۲۲۰۸).

ومن ثم تأتي النتيجة بدخول الجنة أو النار، فهذا الأسلوب يجعل المتلقي دائماً في حالة حرص على أعماله من الضياع، وتحذيره من الاستهزاء بأعمال الناس، بل يلتفت إلى أعماله في تصحيحها وتحسينها.

## ومن أيضاً قوله:

### الحديث الرابع والعشرون:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه - عز وجل - أنه قال: "ياعبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً؛ فلا تظالموا. يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته؛ فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته؛ فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي إنكم فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي النكم والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً؛ فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا وخركم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم عما وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني؛ فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم عادي وجد خير أ فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن ولا نفسه". (رواه مسلم)(١).

فنرى في قوله: (فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) فجاء استخدام (ما....إلا) هنا جاء لعرض حقيقة أن خزائن الله لا تنقص ولو كان شيئا يسيراً، فعرض النتيجة بصورة قريبة للمتلقين حتى يصل إلى المقصود، وهو عدم نقصان خزائن الله سبحانه وتعالى، فجعل من ذهنه منتبهاً لما يقال.

<sup>(</sup>۱) صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم(۲۵۷۷).

## ومنه أيضاً:

#### الحديث السادس والثلاثون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسرّ على معسر يسرّ الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وغشيتهم الرحمة، في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطاً به عمله لم يسرع به نسبه". (رواه مسلم بهذا اللفظ)(١).

فنرى في قوله: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة) فيعرض الحجة وهي الاجتماع ليأتي بعد ذلك بنتائج كثيرة لحجة واحدة، فلقد استخدم العامل(ما....إلا) هنا ليبين قيمة هذه المجالس وما فيه من فضائل كثيرة، وبذلك يجعل المتلقي متشوقاً لهذه المجالس حريصاً عليها، طالباً لها في بيته وغيره كما ورد في أحاديث أخر في غير الأربعين، فكل هذه النتائج من شأنها فوز الإنسان برضا الله سبحانه.

نلاحظ ترتيب الحجج بحيث تسير نحو تحقيق النتيجة المرجوة، وهي إقناع المتلقي وعدم الخوض في ذلك، وهذا يجعلهم يسلمون بالحقائق دون المجادلة والنقاش.

## العامل الحجاجي (إنّما):

من العوامل الحجاجية (إنّما) وهي من أداوت السلم الحجاجي، هي تغيد القصر، لأن لها معنى (ما...إلا) " والسبب في إفادة إنّما" معنى القصر هو تضمينه معنى (ما...إلا) ونرى أئمة النحو يقولون: "إنّما" تأتى إثباتاً لما يذكر بعدها ونفياً لما سواه (٢).

<sup>(</sup>۱) صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم (۲۹۹).

<sup>(</sup>٢) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن على، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص ٢٩١.

غير أنه لا بد أن نلفت الانتباه إلى رأي آخر، وهو الاختلاف بين استعمال العاملين الحجاجيين (ما...إلا) و (إنّما)، وهو الأمر الذي بينه عبد القاهر الجرجاني إذ أكد أنهما: "لا يكونان سواء، فليس كل كلام يصلح فيه "ما...إلا "يصلح فيه "إنّما" ألا ترى أنها لا تصلح في مثل قوله تعالى (وما من إله إلا الله)، وفي نحو قولنا: (ما أحد إلا وهو يقول ذلك...) إذ لو قلت: (إنّما من إله إلا الله) و (إنّما أحد إلا وهو يقول) قلت ما لا يكون له معنى "لقد قادنا عبد القاهر إلى ملاحظة هذا الفرق والتدقيق في وجوده إذ يقول: واعلم أن موضوع "إنّما" على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة تفسير ذلك أنك تقول للرجل: إنّما هو أخوك، إنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقربه، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا" و"إن هو إلا كذا" فيكون الأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: "ما هو إلا مصيب" أو "ما هو إلا رفطئ" قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: ما هو إلا زيد". لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون زيداً (أ).

إذ إنه لا يفتأ يلجأ إلى القيود السياقية والمقتضيات المقامية والمبادئ الخطابية من أجل استخلاص اللوازم التي تخدم إدراك الفائدة الإخبارية والغرض التواصلي<sup>(٢)</sup>.

## ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-:

### الحديث الأول:

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه". (رواه إماما المحدّثين: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة

<sup>(</sup>۱) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط۱، ٢٠٠١م، ص٢٢٨-٢٣٢.

<sup>(</sup>Y) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص٩٠.

بن بردزبه البخاري الجعفي، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة)(١).

فيستخدمها النبي – صلى الله عليه وسلم – لإثبات أن العمل لا بد له من نية فيه، فكم من عمل صغير كبرته النية، ولم من عمل كبير صغرته النية، فالعمل مربوط بالنية، والنية سرية وليست علنية، فكل إنسان ونيته، فلا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى، فنرى كيف أن هذا الخبر لا ينكره أحد وإنما جاء ليوصل الرسالة إلى درجة الإقناع والتسليم، والحذر من فوات الأجر بسبب النية، فالنية مطية الإنسان في عمله إذا كانت خالصة لله توصله إلى الدار الآخرة مع رضوان الله، أما إذا لم تكن خالصة فإن العمل لا يقبل عند الله تعالى.

## ومنه أيضاً:

## الحديث التاسع:

عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم". (رواه البخاري ومسلم)(٢).

فنرى أنه جاء بها بعد النصيحة، وعدم التشدد، والسؤال عن كل شيء مهلك، فهو يقوي الحجة ويقول إنّ سبب هلاك الأمم السابقة كثرة السؤال والاختلاف، بل الأسلم وهو تطبيق ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – مع الاستطاعة على ذلك واجتناب نواهيه، من شأنه أن ينقذ الإنسان من عذاب الله تعالى، وكثرة السؤال تولد الخلاف والفرقة بين الأمة، وهذا مالا يريده النبي – صلى الله عليه وسلم – بل يريد الأمة متماسكة متر ابطة حتى لا تضعف ويكون مصيرها إلى الهلاك.

وما يلاحظ على هذا العامل الحجاجي أن الحجج التي تأتي بعده تكون أقوى من الحجج التي تأتى قبله.

<sup>(</sup>۱) متفق عليه، صحيح مسلم مرجع سابق، حديث رقم(١٩٠٧)، صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم(١).

<sup>(</sup>۲) متفق علیه، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم(۱۳۳۷)، صحیح البخاری، مرجع سابق، حدیث رقم(۲۸۸).

### العامل الحجاجي القسم:

يستخدم لتأكيد المعلومة، ومحاولة إقناع المخاطب بها، ومعناه الحلف واليمين، ومن أدوات القسم: حرف الباء، والواو، والتاء، واللام (١).

واستخدامه من عوامل الحجاج يجعله من العوامل المقنعة، والمثبتة للحقائق، مما يجعل المتلقي في حالة انتباه لما بعد القسم، ولا يراد القسم بذاته وإنما للتواصل ودفع المتلقين للوثوق بكلامه.

#### ومنه قوله:

### الحديث الرابع:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: حدّثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكَتْب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحد كم ليعمل بعمل أهل النار فيدخلها، أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل البخاري ومسلم)(٢).

فنرى في قوله: (فوالله الذي لا إله غيره) أنه استخدم القسم ليؤكد نتيجة حاصلة، وينبه المتلقين على ما بعده من أمر مهم، ومصيري في حياة الإنسان، وأن الإنسان سيموت لا محالة فلابد أن ينتبه لأعماله قبل الموت.

فنلاحظ استخدام القسم من شأنه تنبيه المتلقين وتحذير هم من أمور عظيمة تنفعهم في الدنيا قبل الآخرة، فحجاجية القسم تنبثق من آليته الموكدة لحدث ما، ويجعله عاملاً حجاجياً يَشُدُ عقولَ المتلقين.

<sup>(</sup>۱) ينظر: هارون، عبد السلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠١م، ص١٦٢-١٦٥.

رقم (۲۰۲۳)، صحیح مسلم مرجع سابق، حدیث رقم (۲۶۴۳)، صحیح البخاري، مرجع سابق، حدیث رقم (۲۲۰۸).

### الخاتمة

إلى هذا يكون هذا البحث قد استوفى - بعون الله وفضله - فصوله ومباحثه وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها.

- ١. يهدف الحجاج إلى الوصول إلى تحقيق الإقناع.
- ٢. رصد أهم الاتجاهات التي ساهمت في تطور نظرية الحجاج من أمثال ليبرلمان وتيتيكا في البلاغة الجديدة.
- ٣. الأساليب البلاغية هدفت في استخدامها إلى الوصول إلى الإقناع والتأثير السلوكي
   على المتلقى.
  - ٤. أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم- الميسر والواضح كان سبباً في الإقناع.
  - ٥. تتويعه صلى الله عليه وسلم في الأساليب احتراماً للعقول وحرية في التعبير.
- تمييز النبي صلى الله عليه وسلم المتلقين ضمن درجات مما جعله يستخدم
   الأقيسة المنطقية، لتحقيق الفائدة الإقناعية.
- استخدام النبي صلى الله عليه وسلم- الروابط والعوامل الحجاجية ممّا جعل لها
   الأثر الكبير في نفوس المتلقين والوصول الى النتيجة المرجوة في الإقناع والتأثير.
- ٨. إن استخدام الحجاج في الحديث النبوي الشريف كان إضافة نوعية لها أثر كبير في
   إقناع المتلقين بطريقة سهلة ليس فيها تعقيد.
- 9. لقد تجلَّى الحجاج في هذه الأحاديث من خلال استخدام النبي صلى الله عليه وسلم –
   أساليب بلاغية متنوعة.
- ١٠. إن اختيارات النووي كانت قائمة على ترسيخ الإيمان في قلوب المتلقين، وتكوين قاعدة إيمانية قوية عندهم.

- ١١. نرى أن لغة الأحاديث لغة سهلة ميسرة لا تحتاج كثير عناء للوصول إلى مبتغاها.
- 11. تنوعت أساليب استخدام آليات الحجاج في الأربعين النووية وذلك للوصول للغاية المنشودة وهي القدرة الإقناعية المؤثرة.
- ١٣. استخدم النبي صلى الله عليه وسلم في كلامه لتبليغ رسالته، أساليب بلاغية كثيرة لمقاصد تعليمية وإرشادية وغيرها، بهدف تقريب المعاني وإيضاحها.
- 11. أثبتت الدراسة إمكانية تطبيق النظريات الحديثة على نصوص الأربعين النووية من خلال استخدام الوسائل الحجاجية بشتى أنواعها و آلياتها.
- 10. جلّت الدراسة البلاغة الحجاجية للأحاديث الأربعين النووية كونها من كلام أفصح الفصحاء، الذي يعرض لنا الأسلوب الأمثل للتواصل والإبلاغ، وما يحويه من بلاغة وحكمة لها أثر ظاهر في الدعوة والإقناع.

وختاماً فإني أضع هذا البحث بين يدي كل من خاض الدراسات الحجاجية الحديثة، وحاول توجيه الألباب إلى الحديث النبوي الشريف؛ لتقويم البحث من الاعوجاج إن وجد وتبرئته من النقص، بما يرى فيه خدمة للحديث النبوي الشريف.

وأسال الله التوفيق والسداد، والحمد لله من قبل ومن بعد على توفيقه ومنته.

## قائمة المصادروالراجع

### المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- النووي (أبو زكريا محيي الدين، يحيى بن شرف، ٦٧٦هـ)، الأربعين النووية في
   الأحاديث الصحيحة النبوية، القاهرة، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- ابن الأثیر: أبو الفتح ضیاء الدین بن محمد بن الأثیر، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقیق: محمد محیی الدین عبد الحمید، المكتبـة العـصریة، صـیدا، بیروت، المکتبـة العـصریة، صـیدا، بیروت، ۱۹۹۰هـ/ ۱۹۹۰م.
- الباجي، أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٠م.
- البخاري، أبي عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، ترتيب محمد فؤاد عبد
   الباقي، ألفا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط۲، ۲۰۱۱،
- ۲. بروتون، فیلیب، وجوتییه، جیل، تاریخ نظریات الحجاج، ترجمة: محمد صالح الغامدي،
   مرکز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزیز، السعودیة، ط ۱، ۲۰۱۱م.
- ٧. بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)،
   بيت الحكمة، ط١، ٢٠٠٩م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الجامع الكبير (سنن الترمذي)،
   تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، ج٤.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة،
   مكتبة الخانجي، ج١.
  - ١٠. آل جبعان، ظافر بن حسن، علم الأربعينات والأربعين، ط١، ١٤٣٨هـ.

- ۱۱. الجرجاني، عبد القاهر: (۲۷۱هـ أو ٤٧٤هـ)، أسرار البلاغة، شرح وتعليق وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.
- 11. \_\_\_\_\_\_ دلائل الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- 17. الحباشة، صابر، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدارسة والنشر، دمشق، سوريا، ط۱، ۲۰۰۸م.
- 14. الدار قطني، علي بن عمر بن أحمد، سنن الدار قطني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ج٥.
- 10. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد، سنن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣
- 17. دايك، فان، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيفي، إفريقيا الشرق، د.ط، ٢٠٠٠م.
- 1۷. الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن ٤هـ، بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، ط٢، ٢٠١١م.
- ۱۸. ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق ماهر ياسين الفحل، بيروت، لبنان، دار ابن كثير، ط۱، ۲۰۰۸م.
- 19. روبول، آن، وموشلير، جاك، التداولية اليوم، ترجمة: سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م
- ۲۰. الزناد، الأزهر، دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي،
   الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

- ۲۱. السبعاوي، طه عبدالله محمد، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية،
   بيروت، لبنان.
- ۲۲. السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- 77. السخاوي، شمس الدين، المنهل العذب الرَّوِيّ في ترجمة قطب الأولياء النوويّ، ط١، ٥٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ۲٤. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.
  - ٠٢٥. السيد، عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- 77. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
- 77. الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- ٢٨. صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس،
   منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.
- ٢٩. \_\_\_\_\_ أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات
   كلية الآداب، منوبة، تونس، سلسلة آداب، ١٩٩٨م..
  - ٣٠. صولة، عبد الله: الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- ٣١. \_\_\_\_\_ في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع،
   تونس، ط١، ٢٠١١م.

- ٣٢. الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- ٣٣. عباس، فضل حسن، البلاغة؛ فنونها وأفناتها، علم المعاني، دار الفرقان، إربد، الأردن، ط٤، ١٩٩٧م.
- ٣٤. عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٧م.
- ٣٥. \_\_\_\_\_ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٨.
- ٣٦. عبد المجيد، جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٣٧. العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م.
  - ٣٨. العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م.
    - ٣٩. \_\_\_\_\_ الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، المغرب، ط ١، ٢٠٠٧م.
  - ٠٤٠ العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.
- 13. عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٧م.
- 23. ابن العطار، علي بن إبراهيم، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، تحقيق مشهور آل سلمان، الدار الأثرية، ط١، ٢٠٠٧م.
- 27. علوي، حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج٣، ج٢، ط١، ٢٠١٠م.

- 32. العمري، محمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٢م.
- دع. \_\_\_\_\_ البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء محمد. معلم المسلم المس
- 23. \_\_\_\_\_ البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ١٩٩٩م.
  - ٤٧. ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- 23. القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٠٥. الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
- دار ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي، ج٢.
  - ٥٢. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ٥٣. المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
- ٥٤. ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٦م.
- ٥٥. الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق سوريا، ط ٦،٠٠٠م.

- ٥٦. النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- ٥٧. هارون، عبد السلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠١م.
- ابن و هب، إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، مصر، المكتبة الوقفية.

#### المجلات:

- ۱. بدر الدین، أمیمة، التكر ارفي الحدیث النبوي الشریف، مجلة جامعة دمشق المجلد ۲۰، العدد ۲/۱، ۲۰۱۰م.
- ٢٠. بلعلى، آمنة، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، عدد ٨٩، محرم ١٤٢٤هـ.، ٢٣ آذار ٢٠٠٣م.
- ٣. بوز ناشة، نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجلة علوم إنسانية، الجزائر،
   عدد ٤٤، ٢٠١٠م.
- ٤. أبو زيد، أحمد، الاستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة، العدد ٤، السنة ٢، ماي/١٩٩١م.
- عبد الرحمن، طه، الاستعارة بين حساب المنطق و نظرية الحجاج، مجلة المناظرة، العدد
   ٤، السنة ٢، ماي/١٩٩١م.
- 7. العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، عدد 7، صيف وخريف ٢٠٠٢م.
- ٧. محمد بلال، عبدالله، بادشاه، حافظ محمد، شواهد التشبيه في الأربعين النووية، جامعة بنجاب، لاهور باكستان، مجلة القسم العربي، عدد ٢٠١٧م.
- ٨. الولي، محمد، الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان، مجلة فكر ونقد، المغرب،
   عدد ٦١، ٢٠٠٤م.

#### المقالات:

- 1. أعراب، الحبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي؛ عناصر استقصاء نظري، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج٣، ط١، ٢٠١٠م.
- الراضي، رشید، الحجاجیات اللسانیة، مقال ضمن کتاب: الحجاج؛ مفهومه ومجالاته، الراضي، رشید، الأردن، ج ۲: مدارس اعداد وتقدیم: حافظ اسماعیلی علوی، عالم الکتاب الحدیث، إربد، الأردن، ج ۲: مدارس و أعلام، ط۱، ۲۰۱۰م.
- ٣. صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطقاته من خلال مصنف في الحجاج، "الخطابة الجديدة"، ليبرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، سلسلة آداب، ١٩٩٨م.
- العمري، محمد، المقام الخطابي والمقام الشعري ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠١م.
- ٥. لحويدق، عبد العزيز، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج٣، ط١، ٢٠١٠م، ص٣٤٤.
- المودن، حسن، حجاجية المجاز والاستعارة، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته،
   إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج٣، ط١، ٢٠١٠م.
- ٧. هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، لفريق البحث والبلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، سلسلة الآداب، ١٩٩١م.
- الواسطي، محمد، أساليب الحجاج في البلاغة العربية، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج٣، ط١،
   ٢٠١٠م.

### الرسائل الجامعية:

- ا. تجاني، أمينة، الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني \_ دراسة في وسائل الإقناع، رسالة ماجستير، جامعة حمو لخضر الوادي، الجزائر، إشراف الدكتور: على زيتونة مسعود، ٢٠١٥/٢٠١٤م.
- جدي، إيمان، وروابحي، أحلام، الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان، رسالة ماجستير، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، إشراف الدكتور: عبد الحميد عمروش،
   ۲۰۱۷/۲۰۱٦م.
- ت. بن خراف، ابتسام، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية رسالة الدكتوراه، إشراف الدكتور السعيد بن براهيم جامعة باتنة،
   ٢٠١٠/٢٠٠٩.

171